الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
المركــز الجامعي الــوادي

معهد العلوم الإنسانية و الاجتماعية قسم التاريـخ

الحواضر الإسلامية في المغرب الإسلامي
بجاية الحفصية (ق 7 - 9هـ / 13- 15م) . أنموذجا.

مذكـرة مكملـة لنيـل شهـادة الليسانـس في التاريـخ

إعداد الطالبتين :
عائشـــة نـــاصر
هنـــاء صحراوي

إشراف الأستاذ :
واعظ نويوة

لجنة المناقشة : 1 – السعيد عقبة رئيساً
2 – واعظ نويوة مشرفا ومقرراً
3 – معاد عمـراني مناقشاً

الموسم الجامعي : 1432-1433هـ / 2011-2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم اللّه الرحمن الرحيم

" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ "

سورة التوبة، الآية : 105

شكـر وعرفـان

قال الله تعالى :﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبنوره تنزل البركات نشكر الله العلي القدير ونحمده على ما هدانا ووفقنا عليه في هذا العمل المتواضع كما نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى

الأستاذ المؤطر **واعظ نويوة**

الذي غمرنا بتوجيهاته وارشاداته القيمة ومساعداته و تشجيعاته الدائمة لنا راجين من المولى عز وجل أن يعوض تعبه هذا خيرا إن شاء الله .

كما نتقدم بالشكر إلى الأساتذة عقبة السعيد" و" عمار غرايسة " و" معاذ عمراني" " رابح رمضان" و " عمر روينة " على كل مساعداتهم و مجهوداتهم الجبارة التي قدموها لنا والمعلومات التي أفادونا بها.

كما نتقدم بالشكر و العرفان إلى كافة أساتذة معهد العلوم الاجتماعية و الإنسانية بجامعة الوادي

كما لا يفوتنا في هذا المقام أن نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد إلى كل من عاملي مكتبة دار الثقافة و مكتبة زاوية سيدي سالم و مكتبة الزاوية التجانية بقمار و المكتبة الوطنية بالجزائر.

و الشكر موصول أيضا إلى الأخ "محمد الساسي سوري" و الأخ "سليم سوري" الذي أشرف على كتابة هذه المذكرة، مع إمداده لنا باقتراحاته و نصائحه.

كما لا ننسى الأخ الزميل " مسعود قيه"

إلى كل من ساعدنا في هذا العمل المتواضع من قريب أو بعيد فإلى الجميع نقول جزاكم الله خيرا على تعبكم المضني وسعيكم الحقيقي .

عائشة – هناء

الإهـــــداء

إلى وطني الحبيب

الجزائـــــر

إلى من عانقت رفاتهم أرض الوطن

لنحيا نحن عليها في أمن و سلام.

شهدائنا الأبرار

مقدمة

بالعربية:

ج : جزء

ع : العدد

ب ط : بدون طبعة

ب ت ن : بدون تاريخ نشر

مج : مجلد

تح : تحقيق

تر : ترجمة

مر : مراجعة

ت : توفي

ب م ن : بدون مكان نشر

ص : صفحة

ص ص : صفحات

بالفرنسية:

P : Page

مقدمـــة

لقد عرف المغرب الإسلامي خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع و التاسع هجري العديد من الحواضر الإسلامية التي حضيت بمكانة مرموقة من بينها بجاية، التي جعلها موقعها الإستراتيجي مركز استقطاب من جميع النواحي، سواء تعلق الأمر بالجانب السياسي بكونها منطقة تنافس بين دول المغرب الإسلامي، وكذلك بالنسبة للجانب الاقتصادي حيث أعطاها موقعها الإستراتيجي أهمية بالغة، بأن جعلها رابطة وصل يبن مختلف الطرق ساحلية كانت أم داخلية، أما عن الجانب الثقافي فقد شهدت حركة علمية نشطة، حيث توافد عليها كثير من علماء المشرق والمغرب، فكان أن وقع اختيارنا على موضوع :

الحواضر الإسلامية في المغرب الإسلامي بجاية الحفصية (ق7-9هـ/13-15م)

- أنموذجا -

دوافع اختيار الموضوع:

ومما حثنا على اختيار هذا الموضوع كموضوع للدراسة، الرغبة الشديدة في تسليط الضوء على هذه الحاضرة الإسلامية في العهد الحفصي، خاصة أن الدراسات في هذا العهد قليلة على الأقل مقارنة بالعهود السابقة، رغم ما قدمته بجاية للدولة الحفصية من منافع وامتيازات في جميع المجالات، إضافة إلى ذلك رغبتنا في التعرف أكثر والتعمق في واقع بجاية خلال هذه الفترة من جميع الجوانب سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا وثقافيا.

طرح الإشكالية:

إن الإشكالية التي أردنا الإجابة عليها من خلال إنجازنا لهذه المذكرة هي:

كيف كان واقع بجاية في العهد الحفصي الإداري (السياسي) والاقتصادي وكذا الثقافي؟

ومن الأسئلة الفرعية التي تثيرنا:

- كيف أصبحت بجاية جزءاً من الدولة الحفصية؟
- كيف اتسمت علاقة بجاية بجيرانها؟
- ما هي أهم السلع والأسواق والطرق التجارية فيها؟
- كيف كانت الحركة العلمية؟ ومن هم أهم العلماء الذين عرفتهم بجاية في تلك الفترة؟.

المنهج المتبع :

لقد اعتمدنا في إنجاز هذا الموضوع على المنهج الوصفي السردي تـــارة، وعلـــى المنهج التحليلي تارة أخرى مع الحرص على الموضوعية التاريخية.

تقسيمات الموضوع :

تضمنت هذه المذكرة خطة احتوت على مقدمة ومدخل تمهيدي وثـــلاث فـــصول و خاتمة اشتملت المقدمة على التعريف بالموضوع، ومدخل تمهيدي تطرقنا فيه إلى أصل تسمية بجاية، ولمحة تاريخية وجغرافية عنها، أما بالنسبة للفصل الأول فتعرضنا فيه إلـــى الوضع السياسي لبجاية واحتوى على ثلاث مباحث الأول شمل النظم الإدارية، وأما الثاني تضمن المحاولات الانفصالية لبجاية عن السلطة الحفصية، والثالث تعرضنا إلى علاقاتها الخارجية، أما الفصل الثاني فقد اشتمل على الوضع الاقتصادي، وانقسم إلى ثلاث مباحث الأول الإنتاج الفلاحي، والثاني الإنتاج الحرفي، وأخيرًا التجارة، وبالنسبة للفصل الثالـــث فقد جمع بين الجانب الاجتماعي والثقافي، الاجتماعي ضم عناصـــر الـــسكان وطبقـــات المجتمع البجائي، أما الثقافي فقد اشتمل على أنواع العلوم وأهم العلماء، وكذا أنواع الفنون أما الخاتمة فتضمنت مجموعة من الاستنتاجات.

أهم المصادر :

لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على عدة في مصادر من بينها :

تاريخ ابن خلدون لـــ عبد الرحمن إبن خلدون (ت 808هـــ / 1406م) في جزئـــه السادس، والذي أفادنا كثيرا في الجانب السياسي، إضافة إلى أبي العباس أحمد القلقشندي (ت 821هـــ/1418م) في كتابه الصبح الأعشى في صناعة الإنـــشا، والـــذي ورد فيـــه أصل الحفصين وزي سلاطينهم وكذلك شريف الإدريسي (ت 548هـــــــ/1154م) فـــي كتابة نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، حيث تضمن مواقع المدن لكونه كتابـــا جغرافـــي بالدرجة الأولي، وأبو العباس الغبريني (ت 704 هـــ/1304م) في كتاب عنوان الداريـــة فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، الذي خدمنا كثيرا في الجانـــب الثقـــافي و رغم أنه يغيب فيه أحيانا تاريخ الوفاة لبعض العلماء.

ومن المراجع المعتمدة بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية اجتماعية لصالح بعزيق، حيث اعتبر أكثر المراجع اعتماداً خاصـــة فيمـــا يتعلـــق بالجانـــب الاقتـــصادي والاجتماعي، كذلك مختار حساني في كتابه موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية الذي أفادنا في الجانب العمراني.

صعوبات الموضوع:

أما الصعوبات التي واجهتنا أثناء انجازنا لهذا الموضوع فمن بينها ندرة المـــصادر أو المراجع المتخصصة، خاصة فيها يتعلق بالجانب الاجتماعي، من حيـــث العـــادات والتقاليد في بجاية على العهد الحفصي، كما أن أغلب المصادر كانـــت تركـــز علـــى الجانب السياسي دون غيره.

وفي الأخير نتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان للأستاذ المشرف "**واعظ نويوة** " على توجيهه لنا، وصبره علينا، فقد كان نِعْم المؤطر وخير المشرف، فله منّا كل الشكر. هذا فإن أصبنا فمن الله وحده، و إن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الـــشيطان، والله مـــن وراء القصد.

مدخـــل التمهيـــدي :

لمحة جغرافية وتاريّخية عن بجاية

1 – الإطار الجغرافي.

2 – الإطار التاريخي.

1 - الإطار الجغرافي :

بجاية بالكسر وتخفيف الجيم والألف والياء والهاء[1]، حيث وصفها العبدري بقوله: « مدينة بجاية مبدأ الإتقان والنهاية، وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة، شهيرة، برية بحرية، سنية سرية، وثيقة البنيان، عجيبة الإتقان، رفيعة المباني، غريبة المعاني، موضوعة في أسفل سفح جبل وعر مقطوعة بنهر وبحر، مشرفة عليها أشراف الطليعة، متحصنة بها منيعة، فلا مطمع فيها المحارب ولا متسع فيها لطاعن»[2].

كما يصفها الإدريسي على أنها كانت مرسى قبل بنائها تقع مابين بونة و جزائر بني مزغنة، حيث يقول: «أن بينها (أي بونة) وبين الجزائر بني مزغنة مراس فمنها إلى جيجل مرسى[3]، ومنه إلى بجاية مرسى[4]، ومنه إلى مرسى بني جناد[5] ومنه إلى مرسى الدجاج»[6].

وبجاية معلقة من جبل قد دخل في البحر يضرب فيه... وبينها وبين صقلية ثلاثة مجار وهي مرسى عظيم تحط فيه السفن من كل جهة[7]، كما تمتد المدينة عرضا على خاصرة الجبل، وتكاد أن تكون كلها مؤلفة من جبال شاهقة ووعرة ذات غابات وعيون كثيرة[8].

---

1 - ياقوت الحموي: معجم البلدان. تح: فريد عبد العزيز الجندي، درا الكتب العلمية، بيروت، (ب ط)، (ب ت ن) ج1 ص303 .

2 – محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، تح: أحمد بن جدو،مطبعة البحث، قسنطينة، (ب ط)، (ب ت ن)،ص23.

3 - أبو عبد الله الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، (ب ت ن)، (ب م ن)،ج1، ص262.

4 – أبو القاسم بن حوقل النصيبي: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، لبنان، (ب ط)، 1996، ص106.

5 – **مرسى بني جناد**: هو مدينة صغيرة على الجبل بينها وبين البحر نحو ميل،أنظر: أبو عبيد الله البكري ،المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب ،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (ب ت ن)، ص65.

6 – **مرسى الدجاج**: هو مدينة قد أحاط بها البحر من ثلاث نواحي وقد ضرب بسور من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية، الحموي، المصدر السابق،ج5،ص106.

7 – محمد عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خير الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، لبنان، ط2 1984 ص81.

8 – حسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد لخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط2، 1883، ج2،ص101.

2 - الإطار التاريخي لبجاية :

أ - **بجاية في القديم**: لمدينة بجاية تاريخها القديم، حيث أسست في البداية في هذه المنطقة مراكز ومخططات تجارية ذات صبغة اقتصادية، كما هو الحال بالنسبة للفنيقيين عند دخولهم إلى القطر الجزائري، أسسوا بها مدنا من بينها مدينة صلداي (بجاية) وكان غرضهم من ذلك تجاري[1]. وأثناء الاحتلال الروماني مثلت بجاية أحدى ولاياته الثلاث الأولى نوميديا العسكرية وهي بلاد نوميديا الجنوبية وعاصمتها لمبيز - ولاية باتنة حاليا -، أما الثانية تمثلت في نوميديا السطيفية التي امتدت إلى صلداي، أما الثالثة التي كانت بجاية إحدى مقاطعاتها فهي موريطانيا القيصرية، الممتدة من صلداي إلى نهر ملوية[2].وقد تلاشت صلداي شيئا فشيئا منذ استيلاء الوندال عليها، وأصبحت تسمى في عهدهم" بغور"أي الموقع الصخري[3]

ب - بجاية في العصر الوسيط :

لقد ظهرت بجاية كحاضرة في العهد الحمادي، حيث عرفت مرحلة من التحضر و الانفتاح، و الهدوء والاتساع، ويرجع التفكير في بناءها إلى الأمير الحمادي الناصر بن علناس بعد أن كانت عاصمة الحماديين القلعة، ويرجع هذا التحول نظرا لـ :

* النتائج التي أسفرت عنها موقعة سبيبة[4]، التي هزم فيها الناصر بن علناس الحمادي (457 هـ/1064 م) أمام أبناء عمومه الزيريين أصحاب تونس[5].

* دخول القبائل العربية- بني هلال–[6] إلى افريقية، فأفسدوا القيروان وأكثر مدن افريقية[7].

---

1 – سليمان الصيد: تاريخ الجزائر القديم، مطبعة البحث، قسنطينة،ط2، 1966م، ص63 .

2 – عبد الرحمان الجيلاني : تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط2، 1965م، ج1، ص49 .

3 – صالح بعزيق : بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،تونس 2006، ص35 .

4 – من القيروان إلى واد الرمل أربعون ميلا و منها إلى سبيبة،وهي مدينة أزلية ذات انهار وثمار و مياهها سائحة تطحن عليها الارحاء، انظر: البكري،نفس المصدر، ص 304.

5 - عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط1991،1م، ص100.

6 - هم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن المنصور بن عكرمة بن خصفة بن عيلان بن مضر بن نيزار بن معد بن عدنان ،قطنو في الحجاز ثم انتشر في مصر و بقية المغرب الإسلامي ،انظر:المقريزي،البيان و الإعراب عما بأرض مصر من الأعراب،تح عبد الحميد عبدين،علم الكتب،القاهرة،1961،ط1،ص 28.

7 – الحميري،المصدر السابق،ص81.

* هناك من يرى سبب بناءها مرتبط بقصة الصلح بين الناصر الحمادي وتميم بن المعز، بعد موقعة سبيبة، بقصة خيانة ابن بعبع أحد رجال تميم له وتآمره مع الناصر،فإن الناصر كان قد ندم[1] على تورطه في الحرب ضد بني عمومته، ومال إلى الصلح معهم، وشاور في ذلك وزيره أبا بكر بن أبي الفتوح، الذي كان يميل إلى هذا الرأي قبل موقعة سبيبة.

فقرر الوزير إرسال رسول إلى تميم يطلب الصلح وتحسين العلاقات، وقد قابل تميم بن المعز العرض بموقف ايجابي، فأرسل أحد رجاله، ويدعى" محمد بن بعبع" إلى ابن عمه ومعه شروط الصلح، لكن ابن بعبع خان تميما وانظم إلى الناصر، ووعده بالمساعدة في امتلاك بلاد تميم، وأظهر له مواطن ضعفها[2] واقترح عليه بناء بجاية - في موقعها الذي كان يمر به وأعجبه - لتكون على الساحل، ولتكون قريبة من افريقية الزيرية[3].

وقد سميت بجاية بالناصرية[4]، حيث يقول في ذلك ياقوت الحموي: « ... كانت قاعدة ملك بني حماد، وتسمى الناصرية باسم بانيها»[5].

كما يوضح الإدريسي سبب تعميرها في قوله:« ... وأما مدينة بجاية في ذاتها فإنها عمرت بخراب القلعة التي بناها حماد»[6]، ويضيف على هذا ابن بطوطة أن بجاية قد تمدنت على يد الناصر بن علناس، وهو أكبر أمراء فرع بني حماد، من دولة بني زيري بن مناد الصنهاجين خلفاء الفاطمين على أفريقية، ومادان لهم من المغرب[7].

وعندما قامت الدولة المرابطية لم تمد نفوذها إلى أملاك الدولة الحمادية، ويعتقد البعض في ذلك أن السبب يرجع إلى العلاقة التي تربطها بالعصبية القبلية، لأن كلا من الدولة الحمادية والمرابطية تنسبان إلى صنهاجة،أولى من تلكانة،والثانية من لمتونة ومسوفة[8].

---

1 – سماح ميدة، مباركة بورقعة، مذكرة الحياة الثقافية، المركز الجامعي بالوادي، 2010، ص09.
2 - أبو الحسن بن علي بن أبي الكرم شيباني (المعروف بإبن الأثير)، الكامل في التاريخ،مر: محمد يوسف الداقق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1978م، ج8، ص375.
3 - عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص100.
4 - أنظر الملحقين رقم 01-02
5 - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص103.
6 - عبد الحليم عويس، نفس المرجع، ص101.
7 – أبن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، المطبعة الخيرية، (ب م ن)، ط1، 1911م، ص33.
8 - مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة،الجزائر،(ب ط)،2007،ج3،ص182.

أما بالنسبة لنزول الموحدين في بجاية، فقد خرج ابن تومرت[1] من تونس مع ثلاثة من رفقائه وهم: يوسف الدكالي، الحاج عبد الرحمان، وأبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق وقصدوا قسنطينة، ونزلوا عند أحد الفقهاء، وكان ابن تومرت حريصا على إقامة السنة ومحاربة البدعة[2]، ثم انتقل ابن تومرت إلى بجاية فأقام بها مدة وهو على حالة من الإنكار[3]، والتقى هناك بعبد المؤمن بن علي[4] الذي أصبح خليفة في حكم الموحدين، والذي أسقط دولة المرابطين فيما بعد عام 541هـ، وتمكن من دخول العاصمة مراكش، ثم أراد الاستيلاء على باقي أنحاء المغرب وافريقية، فخرج سنة 546هـ إلى بجاية واستولى عليها ومنذ ذلك الوقت اعتبرت بجاية عملا من أعمال الدولة الموحدية[5].

1 – **ابن تومرت**: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت،المنعوت بالمهدي الهرغي، نسبة إلى قبيلة هرغة، وهي بطن من بطون القبيلة البربرية الكبرى مصمودة، لكن هناك اختلاف حول نسبه فيما إذا كان هذا السب بربريا خالصا أو أنه منتهيا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي هو من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب،انظر: عبد المجيد النجار،المهدي بن تومرت ،دار الغرب الإسلامي'بيروت'ط1، 1983،ص24،أبو العباس بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تح إحسان عباس،دار الثقافة'بيروت،ج3،ص201.

2 - عبد المجيد النجار،نفس المرجع، ص89.

3 - أبو العباس الناصري،الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،دارالكتب،الدار البيضاء،(ب ط)،1954،ج2.ص72.

4 - هو عبد المؤمن الكومي التلمساني صاحب المغرب والأندلس، بويع يوم الخميس الرابع عشر رمضان عام أربعة و عشرين و خمسمائة، و توفي سنة ثمان و خمسين و خمسمائة، و عاش إحدى و سبعين سنة، انظر: ابن عماد عبد الحي أحمد بن محمد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب،المكتب التجاري لطباعة بيروت،ج3،ص183، أنظر مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق، ط1، الرباط،2005م،ص208، أنظر شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، دول الاسلام، تح: حسن إسماعيل مروة، دار صادر، ط2، بيروت، 1999م، ج2، ص62.

5 - واعظ نويوة،اثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية،رسالة ماجستير،المدرسة العليا بالجزائر،2008، ص13.

الفصـــل الأول :

الحياة السياسية لبجاية الحّفصية

1 – أصل الحفصيين و أسباب قيام دولتهم

2– النظم الإدارية

3 – المحاولات الإنفصالية لبجاية عن السلطة الحفصية

4 – العلاقات الخارجية لبجاية الحفصية

1 - أصل الحفصيين و أسباب قيام دولتهم

أ- أصل الحفصيين :

ينسب البعض الحفصيين إلى بني أبي حفص عمر بن يحي بن محمد بن وانود بن علي بن علي بن أحمد بن ولال بن إدريس بن خالد بن اليسع بن إلياس بن عمر بن وافتن بن محمد بن تحية بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، غير أن هذا النسب مشكوك فيه، لأن المشهور أن أصلهم من قبيلة هنتاتة من قبائل البربر بالمغرب وهي قبيلة عظيمة مشهورة[1]. وقد ارتبط أصلهم بالموحدين من البداية، وكان في مقدمة العشرة - وهم الجماعة المقربين لابن تومرت - أبي حفص عمر الهنتاتي، ويذكر التاريخ أن الاسم و الكنية منحها إياه المهدي بن تومرت باعتباره بمنزلة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعمر هذا بمنزلة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقد قام أبو حفص هذا بدور كبير في تثبيت الدعوة الموحدية ثم في اختيار عبد المؤمن بن علي كخليفة للمهدي بعد وفاته 524 هـ- 1130م، وكان مستشارا وزعيما ومحاربا في دولة عبد المؤمن بن علي[2] بعد وفاة المهدي، وقد حمل المصامدة[3] على طاعته، فلم يختلف عليه اثنان، وكان الحل والعقد في المهمات إليه سائر أيام عبد المؤمن وابنه يوسف، واستكفوا به نوائب الدعوة فكفاهم همها، وقدموه في حروبهم الشديدة فجلى فيها وقاد لهم الجيوش، ودوخ لهم الأعداء، وتوفي أبو حفص سنه إحدى وسبعين وخمسمائة (571 هـ- 1181م)، ودفن بسلا[4] وتستمر السلسلة الحفصية بتولية أبي محمد عبد الواحد أبي عمر الحفصي على تونس، وقد كان إلى جانب مصاهرته للمنصور الموحدي، ويتمتع باحترام

1 – أبو العباس احمد القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب الخيديوية، القاهرة، (ب ط)، 1915م، ص377.

2 – عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي: عصر العهد التركي في تونس والجزائر، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط1،2005م، ج2 ،ص227.

3 - تنتسب هده القبيلة إلى أيلان بن مصمود بن يازيغ و قد أقاموا بالمغرب الأقصى، وهم م ولد مصمود بن يونس، أكبر قبائل البربر وأوفرهم، من بطونهم برغواطة وغمارة أهل جبل الدرن، أنظر: المقريزي، المصدر السابق،ص74، عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م،ج6، ص275.

4 – أحمد بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بإخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية، ط2،1976م،ج1، ص143.

كبير وثقته كبرى لدى المنصور والناصر من بعده، وكان لولايته على تونس سنة(601هـ- 1204م) أثر كبير في استمرار سلطة الدولة الموحدية في تونس[1].

ب - أسباب قيام الدولة الحفصية:

يرجع ميلاد الدولة الحفصية إلى سببين رئيسيين:

- **الأول:** امتداد الدولة الموحدية على يد عبد المؤمن بن علي الكومي أول خلفاء الموحدين حتى شملت افريقية ووصلت حدودها إلى قفصة وطرابلس سنة(555 هـ- 1149م)، مما فرض على هذه الدولة واجب حكم المغرب كله ابتداءاً من ذلك التاريخ، وكان عبد المؤمن بن علي قد خلص افريقية وقاعدة المهدية من أيدي النورمان، الذين كانوا قد انتزعوها من أيدي آخر أمراء بني زيري الصنهاجيين، فأصبح لزاما على خلفائه حماية افريقية من العدوان النصراني المتكرر، ذلك أن استخلاص افريقية وسواحلها من أيدي النورمان الذين كانوا يهددونها دائما جعلها ثغرا يحتاج إلى عامل قوي تحت يده عدة عسكرية فعالة، وقد اختار عبد المؤمن وأبناؤه من بعده رجالا من البيت الموحدي لتولي شؤون ولاية افريقية، فلم يحسن أحداً منهم منابا[2].

- **أما الثاني:** بسبب الصراع الذي جرى بين الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (حكم ما بين 580-595هـ/1184-1199م) وعلي بن غانية، حيث خرج هذا الخير عنه، واستولى على بجاية والمغرب الأوسط، فما كان من الخليفة الموحدي إلا أن يجهز نحوه جيشا بريا عدته عشرون ألف مقاتل ، كما جهز أسطولا[3] بحريا كبيرا بعد أن راسل أهالي المدن التي احتلها ابن غانية ووعدهم بالأمن والإحسان، وما أن وصلت الجيوش الموحدية والأسطول إلى بجاية حتى عمت الفوضى داخل المدينة وفتح العامة أبوابها لاقتبال الوافدين، فدخل الموحدون مدينة بجاية وفكوا الأسرى الذين حبسهم وأسرهم ابن غانية، أما أخوه الذي كان يتولى المدينة فقد فر منها منهزما ملتحقا بأخيه علي الذي كان في ذلك الوقت يحاصر مدينة قسنطينة، ثم ارتحل الأخوان إلى مناطق الواحات الغربية من

1 – عبد الكريم غلاب، المرجع، ص 228 .

2 - حسين مؤنس،تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي،العصر الحديث للنشر، لبنان ، ط1 1982م، ج2، ص216.

3 - محمد العروسي المطوي،السلطنة الحفصية،دار الغرب الاسلامي،بيروت،(ب ط)،1986،ص27.

افريقية وبالتالي استطاع الموحدون استرجاع مدينة بجاية من سيطرة بني غانية مما جعل الحاجة ماسة إلى رجل قوي يستطيع مواجهة يحي ابن غانية وحلفائه بقوة وحزم وكان الأمر يقتضي كذلك أن يمنح هذا العامل سلطات واسعة تجعله نائبا عن خليفة الموحدين في هذه الناحية، لأن التجربة دلت على أنه من العسير جدا بل من المستحيل حكم افريقية حكما قويا فعالا من مراكش، إلا إذا تولاها رجل قوي يعتمد على قوة عسكرية كبيرة[1].

وبعد وفاة الخليفة يعقوب المنصور الموحدي عام (595 هـ- 1199م) تحركت أطماع الطامعين من أعداء الدولة الموحدية من جديد، وعاد بنوغانية حكام جزر البليار إلى شن غاراتهم على افريقية وتونس وتمكنوا من الاستيلاء على تونس والمهدية وبلاد الجريد والدعاء فيها للخليفة العباسي جريا على عادة أسلافهم من المرابطين كذلك حاول عبد الله بن غانية في عام (596 هـ- 1200م) أن يسترد جزيرة يابسة من أيدي الموحدين إلا أن أسطول الموحدين انتصر عليهم بعد أن اشتبك مع أسطول بني غانية في معركة بحرية[2]، وفي عام (602هـ/1205م) استعاد الموحدون مدينة تونس والمهدية من بني غانية وأحلافهم من عرب بني هلال، و عينوا الشيخ أبا محمد بن أبي حفص الهنتاتي واليا على هذه المنطقة و في عهد الملك العادل عين ابن الشيخ أبي محمد أبا محمد على ولاية إفريقية.

ثم أنزلوا هزيمة حاسمة على أخر رجال بني غانية (وهو يحي بن أبي إسحاق)[3]، وعندما تولى أبو العلاء إدريس المأمون بن أبي يوسف يعقوب خلافة الموحدين بعد ثورته على أخيه العادل وإنكاره دعوة المهدي، رفض أبو محمد عبد الله ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد طاعته، فأرسل المأمون بالولاية إلى أخيه أبي زكرياء ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر فقبلها، وسارع من تونس إلى القيروان وتولى أمر افريقية، ولم يلبث أن خلع نفسه من طاعة الموحدين[4].

---

1 - المرجع السابق، ص217.

2 -عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة مدبولي،القاهرة، ط1، 1994م، مج3،ج5، ص19.

3 – نفسه، ج5، ص20 .

4 – حسين مؤنس: المرجع السابق، ج2، ص 219 .

وعندها ضعفت دولة بن عبد المؤمن بالمغرب وكثر اضطرابها واستقل بنو حفص بافريقية سنة 626هـ[1].

وهكذا جاءت البداية على يد أبي زكريا يحي ابن عبد الواحد ومن بعده جاء ابنه المستنصر أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء ،هاتان الشخصيتان هما اللتان أقامتا الدولة المستقلة[2].

بعدما بويع أبو زكريا يحي البيعة الأولى في بداية سنة(626 هـ- 1229م) مر بسرعة للاستيلاء على جهات قسنطينة و بجاية منذ سنة (626 هـ-1229م) ولعله كان لا يريد أن يفوت فرصة اضطراب الحكم في مراكش، فضم أبو زكريا الحفصي قسنطينة في 26 شعبان(626 هـ-1229م)ثم ضم بجاية في نفس السنة إثر فتح قسنطينة مباشرة.

دخل أبو زكريا المدينتين دون عناء بحيث لعبت ظروف الصراع على الحكم في الدولة الموحدية دورها لفائدته، ولقد كان الشيخ أبو عبد الله اللحياني شقيق أبي زكرياء ذاته يساعده أبا عمران لأنه كان صاحب الأشغال، ولا شك أن هذه القرابة قد سهلت أيضا الاستيلاء على بجاية[3].

1 – أبو عبد الله محمد بن أبي قاسم الرعيني القيرواني ابن أبي الدينار، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، المطبعة التونسية ، ط1، 1886م، ص96 .

2 – عبد الكريم غلاب، المرجع السابق،ج2 ،ص228.

3 – صالح بعزيق، المرجع السابق، ص66.

النظم الإداريـــة:

أ - نظام ولاية العهد:

لقد عرفت الدولة الحفصية نظاما سياسيا دقيقا، ظهرت فيه معظم المناصب الرئيسية المعروفة في أشكال الحكم، وقد حرصت الدولة الحفصية منذ أن استقل بها حاكمها الأول أبو زكرياء أن تظهر بصورة الدولة المتفرعة عن الدولة الموحدية[1] فقد لقب ملوكها بلقب " أمير" ثم لقب " أمير المؤمنين " وبلقب " السلطان " وكانت أسماؤهم تذكر فـــي خطبـــة الجمعة، فأبو زكريا أمر أن يذكر إسمه في الخطبة بعد ذكر المهدي[2] وتنقش على السكة. وكان نظام الحكم وراثيا، والأمير رئيسا للدولة والحاكم المطلق، يجمـــع بـــين الـــسلطتين الزمنية والروحية.

أما لباس السلطان فكان يلبس عمامة كبيرة مـــن الـــصوف وكـــان فيهـــا طـــراز من الحرير ولا يتعمّم أحد من أهل دولته قدرتها في الكبر، وذكر أن عذبة[1] عمامته تكون خلف أذنه اليسرى، وأنها مخصصة له ولأقاربه وله جبة صوف و أهرا صوف[3].

وغالب لبسه، ولبس كبار مشايخه من قماش عندهم يسمى السفـــساري، يعمـــل عنـــدهم من حرير وقطن، أو حرير وصوف رفيع جدا، وقماش يعرف بالتلمساني، يعمل بتلمسان إما صوف خالص، أو حرير خالص مختم أو غير مختم، ولا يلبس هو ولا عامـــة جنـــده وأشياخه حقا، وإلا في السفر[4].

كانت إدارة المقاطعات تكتسي ثلاثة أشكال متميزة ومختلفة باختلاف موقع المقاطعة، - فالقبائل العربية كانت تأتمر في معضمها بأوامر مشايخها، الذين تؤهلهم لهذا المنـــصب خصالهم ومميزاتهم الشخصية، دون أن يكون هناك نظام متبع لتقلدهم خطـــة المـــشيخة، وعندما تتعالق القبائل مع السلطة المركزية يلعب هؤلاء المشايخ دورا مزدوجا:

---

1 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص94.

2 – **العذبة**: هي طرف الشيء،أي طرف العمامة،انظر جبران مسعود، الرائد معجم ألفبائي في اللغة والأعلام، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 2002م، ص400.

3 - **أهراصوف**: هو ما يكون تحت الجبة و المرادية على هذا الشيء يشبه القفطان، أو الجلبان، أنظر: حسين مـــؤنس المرجع السابق، ص233.

4 - القلقشندي، المصدر السابق، ج7، ص142.

- دور أعوان السلطة المركزية إزاء أفراد القبيلة الذين يستخلصون منهم الضرائب، ودور ممثلي القبيلة إزاء الملك.

- أما مقطعات الجنوب فقد اضطر الملوك الضعفاء إلى محاباة القبائل الكبرى منها[1]، فتركوا لها نوعا من الحكم المحلي، وقد تعب الملوك الذين أرادوا القضاء على هذه السلطات المحلية في الجنوب .

- وهناك المناطق والمدن التي يستطيع الملك أن يبسط عليها نفوذه مباشرة، وفي هذه الحالة يعين عليها واليا لإدارتها، غالبا ما يكون من أفراد العائلة المالكة، أن لم يكن أبناء الملك.

ولقد حاول سلاطين الدولة الحفصية أن يعيدوا مجد الدولة الموحدية وذلك محاولة السيطرة على المناطق التي كانت خاضعة لها، وفي هذا الإطار تحرك أول سلاطينها أبو زكريا نحو الغرب فاستولى على قسنطينة ثم بجاية، وولى على هذه الأخيرة ابنه الأمير يحي عليها سنة (638هـ/1240م)، ثم ولاه قبل وفاته ولاية العهد وخطب له على جميع منابر افريقية.

وفي عهد المستنصر ولى بجاية أخو إدريس بن عبد الملك فأساء إلى مكانها وفي سنة (679هـ / 1280م) عندما تولى أبو إسحاق الحكم عن أبيه أبو فارس على بجاية.

وعندما تولى أبو زكرياء الليحاني حكم الدولة الحفصية سنة(711هـ/1311م) وجعل أبي زكرياء واليا على بجاية.

لقد كانت القصبة ببجاية مقر الحكم سواء الولاة أو الأمراء الذين أعلنوا استقلالهم وأقيمت من قبل الموحدين لأنها كانت تشكل عنصرا من نظام الحكم، وكانت تحتوي على أجهزة مستقلة، وعلى جامع خطبة خاص يوجد داخلها يسمى القصبة[2]، وتقع في الزاوية الجنوبية الغربية من المدينة على مرتفع من الأرض وتشرف مباشرة على الميناء والبحر، وكان الوالي يعين من طرف السلطان فلم يكن هذا المنصب وراثيا أو خاضعا لوصية الوالي أو الانتخاب، لكن نلاحظ من خلال الولاة الذين توالوا على أن بجاية أغلبهم

1 - مختار حساني: المرجع السابق، ج3، 2006م، ص199.
2 - نفسه، ج3، ص201 .

من العائلة الحفصية، ويعبر الوالي عن ولائه بذكر السلطان في الخطبة واسمه في السكة[1] فهو ممثل السلطان ويتمتع بتفوق ويقوم بجمع الضرائب و المحافظة على الأمن[2].

وقد اتخذ الولاة خطابهم إذ أن هذه الوظيفة برزت في فترة الانفصال الأول (684 هـ- 1285م)، لأن زكرياء ابن أبي إسحاق حين استقل ببجاية نظم حكمه على غرار النظام بتونس ، فأعطى الحجابة لأبي الحسن بن عبد الناس و قويت في بجاية منذ ذلك الوقت وتقلدها بصفة خاصة عائلات أندلسية مثل: بن سيّد الناس ابن أبي عمر[3]، وكانت وظيفة الحاجب وظيفة خاصة إذ كان يشرف على قصر الخليفة، ويلعب دور الوسيط بينه وبين الحكومة[4].

ب - الجيش:

كان الجيش محل عناية الأمراء وكثيرا ما أفاضوا العطاء له، وكان متنوع العناصر ووافر العدد وعتيدا، لأنه كان مكلف بالسهر على أمن الأمير، ومنوط بعدته السهر على أمن البلاد.

- **أسلحة الجيش**: وكانت أسلحته عديدة منها: السيوف، الرماح، النبال، الخناجر الصفائح، الدبابيس، أما المكاحل والمدافع فلم تكن ظهرت في بداية هذا العهد وإنما ظهرت في المدة الأخيرة منه.

و الملاحظ أن البلاد قد عرفت البارود السهل الانفجار الدافع للقذائف بواسطة آلات خاصة في العهد الموحدي، و المعركة التي وقع فيها استعمال ذلك أثناءها كانت بمدينة المهدية لاعتصام أحد الثائرين بها - من بني غانية - وذلك سنة (602 هـ-1205م) فقد ضربت تلك المدينة بآلات لم يرها الناس قبل ذلك، إذ كانت لكل واحدة منها ترمي قذائف من الحجارة، و الكور الحديدية، فتسقط وسط المدينة.

---

1 - صالح بعزيق، المرجع السابق، ص90.

2 - محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، دار سراس للنشر، تونس، ط3 1993، ص55.

3 - صالح بعزيق، نفس المرجع، ص98 .

4 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، مج3، ج5، ص95 .

وكان للجيش الحفصي فرقة يعرف أفرادها بـــ " أصحاب نفيـــر" ويتولـــون دق الطبـــول و النفخ في أبواق، ويمشون وراء الصناجق الأميرية، ويصحبون الأمير إذا زار العاصمة أو تنقل في سفره بالمحلة[1].جنسياته : وكان الجيش الحفصي يتكون من مختلف الجنسيات المحلية والوافدة، فيها العرب والبربر، كما ظهر آنذاك الأندلسيون والأسرى الأروبيـــون الذين اعتنقوا الإسلام في صفوف الجيش الحفصي.

فالأمير أبو زكرياء الحفصي بعد أن دخلت في طاعته سبته و طنجة ومدينة القصر الكبير[2] سنة (642 هـــ-1245م)، وفي أثناء ذلك كان قد عرف كيف يضمن ولاء القبائل العربية النازلة في بلاده ويستخدمها لصالح دولته، وذلك من خلال إدخـــالهم فـــي البنـــاء العسكري لدولته فكانت هذه الخطوة نحو ترويض هذه الجماعات المحاربة، واســـتخدامها استخداما ايجابيا يعود على أفريقية بالخير[3].

- **أقسام الجيش** : انقسم الجيش الحفصي إلى قسمان :

أ - **الجند الملكي**: وهو حرس خاص بالأمير، يتركب من فرقة للفرسان، عناصرها مسيحيون من فرقة المشاة، تنوعت عناصرها وتغيرت، فكانت من الـــسود مـــن مكـــان العاصمة، ومن المهاجرين الأندلسيين ومن الأتراك، وجميعهم مأجورون، وكانـــت لهـــم حضوة خاصة في البلاط، ويرتدون زيا خاصا، ويعرفون بـــ " عبيد المخزن" ويـــسكنون محلات مجتمعة.

ب - الجند النظامي: يتركب من مشاة الفرسان، إطاراته من الحفصيين الموحـــدين وعناصره من البربر، يجندون بواسطة قبائلهم مقابل إعفائها من بعض الضرائب، أو من أجل المساهمة المجانية في المحافظة على أمن البلاد، أو مقابل أجور معينـــة أو بعنـــوان ولائها للدولة، ولم يكن عدده قارا بل تغير حسب الظروف، وكثـــيرا ما انخـــرط في سلكـــه

1 - أحمد عامر، الدولة الحفصية، دار الكتب الشرقية، تونس، (د ط)، (ب ت)، ص ص37-38 .

2 - **القصر الكبير**، هو مدينة مغربية تقع شمال البلاد على ضفاف نهر لوكس، و في القصر كثر من الصناع و التجار و عدد من الجوامع، و أسست في عهد المنصور ملك مراكش، أنظر الحسن الوزان، المصدر السابق،ج1 ، ص303.

3 - حسين مؤنس، المرجع السابق، ص221 .

متطوعون عندما يزاحم البلاط خطر أجنبي، وكثيرا ما وقعت الاستعانة بالبدو والرحل عند الحاجة[1].

وبجانب الجيش البري كان للدولة أسطول بحري قوي، ولتمكين الجيش والأسطول من السهر على أمن البلاد وسلامتها، والقيام بحمايتها، وحراسة ثغورها أنشئت القصبات والمحارس والمعاقل والقلاع، وكانت كل قصبة[2] بمثابة مدينة صغيرة حصينة محاطة بسور.

وقد بذل الجيش جهده لتوطيد الراحة والأمن داخل البلاد بالقضاء على معظم الثورات كما تمكن الأسطول من إجبار الأساطيل الأجنبية على احترام سواحل البلاد، ومجابهة بعضها و إرجاع أصحابها عن أعقابهم خاسرين[3].

لقد كانت بجاية من أكبر قواعد السفن المغربية المجاهدة في البحر، ففي ذلك العصر كثر عدوان سفن البلاد الاروبية على الشواطىء المغربية، وخاصة من أرغون وقطلونية وصقلية والجمهوريات الايطالية، فنشأت لمواجهة هذا الخطر قوات مجاهدة أسلامية في ثغور المغرب[4].

ج - القضاء :

لمّا كانت الدولة الحفصية دولة ذات نهضة دينية وإصلاح اجتماعي، كان لا بدّ من أن يكون القضاء في برنامجها الإصلاحي يحضى بمكانة رفيعة توازي القضاء المنظم، الذي يهتم بدراسة الآداب الدينية وإقامة النظم الشرعية، ولم تكن الدولة الحفصية لتظهر امتيازاتها و لا خصوصيتها في ما يرجع إلى القانون الشرعي الذي كان يأخذ به القضاة في فصل النوازل[5]، ومنذ بداية دولة بني حفص في عصر أبي زكرياء والمستنصر عاد المذهب المالكي إلى احتلال مكانة وأصبح يدرس علنا وكان الفقهاء يدرسون الفروع حسب

1 - ابن عامر، المرجع السابق، ص39.
2 - أنظر الملحق رقم: 21.
3 - ابن أبي عامر، نفس المرجع، ص40.
4 - حسين مؤنس، نفس المرجع، ص254 .
5 - محمد الفاضل بن عاشور،ومضات الفكر،الدار العربية للكتاب،تونس، (ب ط)،1982، ص251.

كتب فقهاء المالكية «الموطأ» « المدونة» « سحنون » « الرسالة » لابن أبي زيد القيرواني[1].

إن السلطة القضائية المركزية كانت من علائق الولاية العامة إلى الملك الحفصي باعتباره أميرا مفوضا من الخلافة في جميع سلط الخليفة، ثم باعتباره خليفة أصليا في حقوق الرئاسة العامة للمسلمين، وهذه السلطة القضائية التي للملك كانت ممثلة في الفروع المشتقة منها المستمدة من قوتها التي يقوم بها المتولون للأحكام الشرعية في مناصبهم الموزعة في أطراف السلطة الحفصية؛ على دوائر قضائية ذات حدود معروفة يقوم على رأس كل دائرة منها قاضي من قضاة الكور الذين كانت مراكزهم في أهم مدن السلطة كالقيروان وسوسة والمهدية وصفاقس وقفصة وجربة[2] وطرابلس وباجة[3] والاربس[4] وبونة وقسنطينة و بجاية ولكن هذا النفوذ مقسم على الدوائر الترابية الموزع بين قضائها.

وكانت الطريقة المتبعة أن القاضي لا يبقى في خطة القضاء في جهة أكثر من ثلاث سنين، ثم ينقل لغيرها إلى أن يتعين لقضاء العاصمة في الفتوى و الشورى.

وكان الحكم بين الناس في مختلف الجهات بين ولاة القضاة، وكلما أشكل عليهم أمر بعثوا إلى شيوخ الإفتاء يسألونهم، كما كان للجيش قاض خاص به، أما العاصمة فكان بها قاضيا للأنكحة وقاضي معاملات وقاضي أهالي وشيوخ الإفتاء، وجميعهم يرجعون بالنظر إلى قاضي الجماعة أي قاضي القضاة[5]، الذي له حق تعيين قضاة الكور في الدوائر المعنية لهم، كحق النظر في سير القضاء بين أيديهم وحق صرفهم من الولاية عند ظهور

1 – ألفردبل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم: تر: عبد الرحمان بدوي، درا الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981م ،ص301 – 302.

2 – **جربة**:هي جزيرة دائرتها تبلغ اثنان و سبعون ميلا و طولها ثمانية عشر،وهي كثيرة الخصب،انظر: أبو الحسن القلصادي رحلة القلصادي، تح محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية،تونس،ط2، 1985م، ص123.

3 – **باجة**: وهي مدينة أزلية قديمة لها حصن حصين أزلي مبني بالصخر الجليل،متقن البناء ،وهي على جبل شديد البياض يسمى الشمس لبياضه وهي كثيرة الأنهار والعيون، انظر: إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص328.

4 – **الأربس**: هي مدينة و كورة بافريقية، أكثر غلتها الزعفران وبها معدن الحديد وبينها وبين القيروان من جهة المغرب، انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص136.

5 - ابن عامر، المرجع السابق، ص ص33-34.

مقتضي ذلك، وحق نقل القاضي من دائرة وحق النظر الاستئنائي في الأحكام الصادرة منهم وتعقيبا بالنقض والإبرام[1].

ومن بين القضاة في بجاية الحفصية الذين ذكرهم الغبريني في كتابه «عنوان الدراية» الشيخ الفقيه أبو محمد ويكنى أبو فارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف أسند إليه قضاء الأنكحة ببجاية، وكذلك الشيخ أبو العباس أحمد بن الحسن بن الغماز الأنصاري من أهل بلنسية، ولي القضاء ببجاية وولي إقامة صلاة الفريضة بجامعها الأعظم[2].

كما تولى ابن بطوطة القضاء وذلك عندما رأى ابن بطوطة سلطان تونس أبا بكر وهو يشهد صلاة عيد الفطر سنة (725هـ/1324م)، ولم يطل مقامه بتونس إذا كان لا بد له من الخروج على ركب الحج، فأقيم أميرا للحج رجل يسمى أبا يعقوب السوسي، وكان أكثر الحجاج في المصامدة « فقدموني قاض منهم أي قاضي طريق كما يقال، ومن ذلك الحين أصبح ابن بطوطة الشاب قاضيا وحمل لقب قاضي»[3].

1 – محمد الفاضل عاشور، المرجع السابق ، ص ص33، 34 .

2 - أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من المائة السابعة ببجاية، تح: محمد بن أبي شنب، دار البصائر، الجزائر، ط1،2007، ص21-58.

3 - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص35.

2 - محاولات الانفصالية لبجاية عن السلطة الحفصية:

أ - المحاولة الانفصالية الأولى:

كان المستنصر قد عقد على بجاية سنة ستين لأبي هلال عياد بن سعيد الهنتاتي وأدال به من أخيه الإمبراطورية التي تركها هذا الأخير متينة الأركان ،غير أنها ما لبثت أن تدهور أمرها على أيدي خلفائه من بعده[1]، ففي عهد ابنه الواثق عرفت الدولة الحفصية استئثار الحسن بن الجبير بشؤونها، حيث فتح ذلك صراعًا بينه وبين شيوخ الموحدين، وحول القصر إلى دسائس وفتن، وانتقلت هذه الصراعات مباشرة إلى بجاية إذ نصّب ابن الجبير فيها أخاه أدريس أبا العلاء في و ولاية الأشغال[2] إلى جانب وإليها محمد بن أبي هلال لتضييق الخناق عليه وعلى شيوخ الموحدين بها، فأحس الشيوخ أن نفوذهم السياسي في خطر، فدبروا لأبي العلاء مكيدة وقتلوه (سنة 677هـ/1278م).

وفتحت هذه الاضطرابات الطريق إلى محاولة تمردية أولى لبجاية عن السلطة المركزية فقد كان على محمد بن أبي هلال حماية نفسه من بطش ابن الجبير فعمد بمساعدة أعيان بجاية إلى مبايعة أبي إسحاق الذي سبق وأن تمرد على أخيه المستنصر سنة (651هـ/1253م) فأجابهم إلى تلك ودخل بجاية (677هـ/1278م).

ولكن هذه الأحداث لم تؤدي إلى الانفصال، بل كانت مرحلة لأبي إسحاق لغزو السلطة بتونس التي دخلها سنة (678هـ/1278م)، فعزل ابن أخيه الواثق[3].

ب - المحاولة الانفصالية الثانية:

كان لأبي إسحاق من الأبناء خمسة وهم أبا فارس عبد العزيز - وكان أكبرهم-، أبو محمد عبد الواحد، وأبو زكريا يحي وخالد وعمر،[4] ولم يدم حكم أبي إسحاق طويلاً حيث انتزع أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة السلطة منه في شوال(631هـ/ 1283م) [5]

1 - إبن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص382.

2 - **صاحب الأشغال**: وهو بمثابة وزير المالية، في وقتنا الحالي أنظر: أبو فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأنصار تر: محمد عبد القادر خريسات، مركز زايد للتراث، و التاريخ، الإمارات العربية المتحدة، (ب ت ن)، ج4، ص100.

3 - صالح بعزيق، المرجع السابق، ص ص 68، 69.

4 - عبد الرحمن أبن خلدون، نفس المصدر، ص384.

5 - صالح بعزيق، نفس المرجع ، ص69 .

بسرعة والذي وجد في قسم كبير من السكان غضبا شديدًا، وآذانا صاغية، وخاصة عرب الجنوب، فأوهمهم بأنه إبن الواثق، وبسط البدو على كافة جنوب إفريقية من خريف (630هـ/1282م)،ثم دخل تونس في سنة (631هـ/1283م)، وحارب جيوش الحفصيين الذين لاذوا بالفرار إلى بجاية وحاولوا استرجاع عاصمتهم[1]، وقد فتح ذلك فترة من الفوضى تسربت إلى بجاية لأن أبا إسحاق فر إليها، ولكن ابنه أبا فارس لم يحسن استقباله، وطمع في الحكم وتلقب بالمعتمد بالله، وخرج إلى محاربة ابن مرزوق بن أبي عمارة ولكنه نهزم في موقعة- قرب قلعة السنان التي تقع في ولاية الكاف التونسية حاليا- في سنة (682هـ/1283م) وقتل في المعركة كما قتل ثلاثة من أخوته عبد الواحد وخالد وابن أخيه محمد بن عبد الواحد[2].

ولم يتمتع أبو عمارة بثمرة نجاحه طويلا، فقد أغضب بدوره العرب الذين سرعان ما التفوا حول أبا حفص عمر وهو أخ للمستنصر بالله في(673هـ-1274م) [3]، فأضعفت هذه الظروف من سيطرة السلطة المركزية في تونس، وجعلت بعض القوى المحلية تبحث عن بديل لإعادة الأمن من ناحية وكسب النفوذ من ناحية أخرى، فقد انقسمت الدولة الحفصية إلى ناحيتين الشرقية وغربية فانتصب بحضرة تونس أبو حفص بن أبي زكريا بعد ابن أبي عمارة واستقل بالناحية الغربية- بجاية، الجزائر، قسنطينة-أبو زكريا أبن أبي إسحاق [4] .

عندما نعي إلى أبي البقاء خالد أبوه أبو زكريا ابن أبي إسحاق انتقل إلى بجاية وقد انتشرت المعارك بين شطري الدولة الحفصية23 عامًا، إلى إن تدخل أشياخ الموحدين فحملوا كلاً من ملك بجاية على التسليم بأن من يبقى منهما بعد صاحبه يضم المملكتين

1 - شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي و بشير سلامة، الدار التونسية للنشر، (ب ط) تونس، (ب ت ن)، ج2، ص102.
2 - صالح بعزيق، المرجع السابق ،ص69.
3 - شارل أندري جوليان، نفس المرجع ،ص102.
4 - صالح بعزيق، نفس المرجع ،ص70.

تحت سلطانه، فكان أن تمت الوحدة لفائدة ملك بجاية أبي البقاء، وذلك بعد مرض السلطان محمد، حيث لم يكن له عقب.

ج - المحاولة الانفصالية الثالثة:

حكم أبو البقاء فقط لمدة قصيرة عام(705هـ/1309م) إلى سنة (717هـ/1317م)، حيث واجه في تونس المشاكل التي أصحبت مضطربة بسبب الصراع على الحكم، والنزاع مع الأعراب فقد تمكن ابن اللحياني زكريا بن أحمد من الاستيلاء على تونس بواسطة الاعتماد على القبائل الرحل، واستمر على ملك تونس من سنة (711هـ/1311م إلى 718هـ/1318م)، وفي الوقت نفسه تمكن أبو يحي بن أبي بكر أخو خالد الأول من الاستيلاء على بجاية في عام(812هـ/1409م)[1].

وللإشارة فإن اللحياني نفسه لم يستطع كامل مدته إن يمسك الوضع نتيجة تفوق الأعراب، فقد رأى في آخر الأمر أنه غير قادر على الحكم بسبب اضطرب الأحوال وافتتان العربان، ولقد سمحت هذه الظروف بانفصال بجاية مرة أخرى من (712هـ/1312م) إلى (718هـ/ 1318م)، لكن مرة أخرى مثلت الدولة الحفصية الثانية ببجاية مواطن القوة في المجال الحفصي، ولذلك انطلقت منها عملية التوحيد على يدي أبي بكر حين ترك أبو زكريا الليحاني العرش متجهًا إلى قابس[2].

1 - عبد الله شريط ومبارك الميلي، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي و الاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، (ب ط)،1985م، ص188.

2 - صالح بعزيق، المرجع السابق،ص ص71، 72.

3- العلاقات الخارجية لبداية الحفصية:

أ - علاقاتها مع بني عبد الواد:

إن إستراتجية بني عبد الواد[1] مع جيرانها تمثلت في موقف دفاعي، و مسالم أمام المرنيين، وموقف هجومي اتجاه الحفصين[2]، حيث كان الأمير أبو عبد الله صاحب بجاية لما اشتدت الفتنة بينه وبين عمه السلطان أبي العباس مع ما كان بينه وبين بني عبد الواد من الفتنة غلبه إياهم على تدلس- دلس حاليا- يكابد حمل العداوة من الجانبين، وصفا إلى مهادنة بني عبد الواد فنزل لهم عن تدلس، و أوفد رسله على سلطانه أبي حمود بتلمسان وأصهر إليه أبو حمو بنته، فلما غلب السلطان أبو العباس الامير عبد الله على بجاية وهلك في مجال حربه أشاع أبو حمو الامتعاض له بمكان الصهر، وجعلها ذريعة إلى الحركة على بجاية وزحف من تلمسان ونزل معسكره بساحتها وقاتلها أياما[3].

وقد تولى بجاية أبو زكرياء ابن أبي بكر الذي مكث بها إلى ربيع الأول 747هـ/جوان و جويلية 1346م ولكنه لم يسير الولاية بنفسه مدة 15 سنة إلى (735هـ/1334-1335م) وكان حجابه خلال هذه المدة هم الولاة الفعليون، وهم ثلاثة. أبو عبد الله محمد بن القالون- عين حاجبا للسلطان أبي يحي بن أبي بكر ثم حاجبا في بجاية - وأبو عبد الله محمد بن أبي الحسين بن سيد الناس وأبو عبد الله محمد بن فرحون حيث تحمل هؤلاء الحجاب الثلاث القسط الأكبر من مهمة الدفاع عن بجاية[4].

ب - علاقتها مع بنومرين:

يعتبر المرينيون أنفسهم ورثة إمبراطورية الموحدين، فلم تكن غايتهم من ضرب تلمسان الوقوف عندها بل المرور إلى الدولة الحفصية.

---

1 – **بنو عبد الواد**: هم فرع من فروع زناتة طرابلس، استقرو في جنوب وهران بعد الغزوة الهلالية ،وعاشو نحو قرن من الزمان حياتهم البدوية الفقيرة، ثم دخلوا في طاعة الموحدين وخدموهم وكسبوا نظير ذلك حق الاستيطان في منطقة وهران وما يليها غربا حتى تلمسان، وعندما ضعفت الدولة الموحدية استغلوا ذلك و أعلنوا استقلالهم بقيادة يغمراسن سنة 633هـ،انظر:ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح:هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية،(ب،م،ن)،2001، ط1، ص10.

2 - صالح بعزيق، المرجع السابق، ص73.

3 - ابن خلدون، المصدر السابق،ص551.

4 - صالح بعزيق، نفس المرجع، ص74.

فلما فرغ بنو مرين منذ (741هـ/1340م) من مشاكل الأندلس بعد انهزامهم أمام الإسبان وبقي أبو الحسن (731 هـ-749 هـ/1331م-1348م)، يتربص الفرصة لاحتلال الدولة الحفصية.

وكان أبو بكر سلطان تونس قد طلب من أبي الحسن المريني أن يكون ضمانا لانتقال السلطة إلى ابنه أبي العباس احمد بعد موته، لكن أخاه أبا حفص اغتصب الحكم وقتل خصمه وأخويه أبا فارس وأبا البقاء[1]، وأخذ أبو الحسن المريني سيره في الجهة الغربية للدولة الحفصية ولم يجد امتناعا من سكانها والمسؤولين فيها، إلا في مدينة بجاية حيث كان عليها - إذ ذاك- أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء الحفصي، فقد حاول هذا الأمير مع أتباعه الامتناع عن فتح أبواب بجاية أمام جيوش المرينيين، وهو امتناع لم يستمر إلا قليلا إذ سرعان ما أعلن صاحب بجاية طاعته وانقياده لأبي الحسن المريني[2]،و كذلك الأعراب فانهم تمردوا عليه، لأنه أراد منعهم من الجباية التي كانوا يأخذونها من الحضر وزاد وضعه تعكرا بسبب وباء منتصف القرن (8 هـ- 14م).

وقد تمردت بجاية وقسنطينة على المرينيين إثر هزيمة أبي الحسن أمام الأعراب، ودخل[3] أبو العباس الفضل بن أبي يحي بكر الذي كان واليا على بونة وقسنطينة منها.إلى بجاية، وفي نفس الوقت استحوذ أبو عنان على الملك في المغرب في عام (738هـ/1434م) وامتد حكم البلاد إلى ما يزيد من نفس قرن، عم البلاد خلالها الاستقرار، ثم امتد السلطان الحفصي إلى تلمسان في أقصى غرب الجزائر[4]، حيث حرص أبو عنان على بقاء الجهة الغربية تحت سيطرته[5]، وكان قد دخل قصبة بجاية، ويقول في ذلك النميري: « وفي يوم آخر كان دخوله إلى قصبة بجاية، فكنت مما دخل معه قصرها الذي تقاصر عن أدني مباني الغرب، وتضاءل تضاؤلا دون قصوره التي هي منية النفس

1 – المرجع السابق، ص77.
2 - محمد العروسي المطوي، المرجع السابق،ص381.
3 - محمود السيد، تاريخ دول المغرب العربي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (ب ط)،2000م، ص169.
4 - نفسه، ص159.
5 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص69.

والقلب[1]» وقد عقد أبو عنان على بجاية وأعمالها لوزيره عبد الله بن علي بن سعيد وسرحه إليها،[2] ولكن كبار البجائيين خشوا سيطرة أبي عنان فبعثوا إليه بطاعتهم، وأخرجوا واليهم منصورا وحزبه من المدينة فتفرقوا في الجهات والتحق كبراؤهم بتونس[3].

ومات أبو عنان عام (759هـ/1261م)، فشهدت الدولة المرينية في أعقاب مقتله تحولا كبيرا في نظامها السياسي[4]، وكانت أهم عناصر هذا التحول هي انتقال السلطة الفعلية من الدولة إلى يد السلاطين والوزراء، وصاحب هذه التطورات الخطيرة في جهاز الحكم في الدولة المرينية عودة الدولة وتقلصها داخل حدودها السابقة في المغرب الأقصى، حيث حاصر الحفصيون قسنطينة واستردوا بجاية سنة (748[5]هـ/1347م).

ج - علاقاتها مع النصارى:

لقد كان للحفصيين في معظم أيامهم مكانا مرموقا في البحر المتوسط ودوله وخاصة مملكة أراغون، وتبعتها قطلونية وفرنسا والجمهوريات التجارية الايطالية.

وعلى الرغم من المسؤولية الضخمة التي ألقاها على عاتقهم موقعهم الجغرافي في وسط البحر المتوسط في مواجهة أوروبا، التي كانت- إذ ذاك- ناهضة متزايدة القوة بعد اكتشاف العالم الجديد، فقد استطاع الحفصيون الاحتفاظ بمركز ممتاز في حوض البحر المتوسط وعلاقات طيبة مع أوروبا، وقد امتاز كبار سلاطينهم من أمثال أبي زكرياء و المستنصر، وأبي العباس، وأبي فارس، وأبي عمر عثمان بسياسة أوروبية واضحة المعالم تدل على إدراك واسع، فقد اجتهدوا في الحفاظ على علاقات الصداقة و المودة بأوروبا، وأجاز لبعض دولها إنشاء قنصليات لها في تونس وبجاية[6]، وفي (708هـ- 1309م) أبرم خايم ملك أراغون للمرة الأولى بتأكيد اتفاقية مع صاحب بجاية الحفصي أبي البقاء خالد، ولقد كان له قنصل في بجاية في أوائل القرن وأحتج بدون

1 - ابن الحاج النميري، فيض العباب وافاضة قداح الاداب في الحركة السعيدة الى قسنطينة و الزاب، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1990،1م، ص268.
2 – الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور،المكتبة العتيقة،تونس ،ط2، (ب،ت،ن)،ص94.
3 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص69.
4 - مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، (ب ط)،2007، ج3 ،ص946.
5 - محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب و الأندلس في العصر المريني، دار القلم، الكويت، ط1987،2م، ص167 .
6 - حسين مؤنس،المرجع السابق ،ص 285.

جدوى لدى ملك ميورقة، عندما طالب هذا الأخير في 701هـ نوفمبر 1302م بإحداث قنصلية برعاية خاصة في تلك المدينة ذاتها.

ولكن وجود قنصل أرغوني لا يكفي لإقامة الدليل على وجود اتفاقية حديثة العهد، وسارية المفعول بين تلك الدولة وبجاية، وقد تم التفاوض[1] بشان المعاهدة المبرمة في (708هـ/ 1309م) بمدينة برشلونة من طرف سفير أمير بجاية الفارسي" غارسيا بيريسن دي مورا"، وتقرر أن تبقى المعاهدة سارية المفعول خمس سنوات، بشرط التصديق عليها من طرف الأمير، وهي تتضمن بالإضافة إلى البنود العادية المتعلقة بسلامة الأشخاص والأملاك نص الدولة الأكثر رعاية، فيما يتعلق بالتمثيل القنصلي، ومن ناحية أخرى يتعهد ملك أرغون إذ دعت الحاجة بالخصوص إلى مد يد المساعدة إلى مدينة الجزائر بوضع سفنتين حربيتين مجهزتين بأربع أدوات حصار تحت تصرف أمير بجاية على أن يدفع الأمير في المقابل 2000 دبلون- دينار اسباني من الذهب- عن كل سفينة مدة أربعة أشهر و500 دبلون عن كل شهر إضافي، وكذلك مرسيليا التي سبق لها وان أوفدت في (732 هـ- 1332م) نائبين لإبرام الصلح مع « ملكي بجاية وتونس »، قد جددت بنجاح خلال الأشهر الأولى من سنة (737هـ- 1337م)[2].

كما اتسمت علاقتها بالعداء مع دول النصارى فلقد نادى السلطان أبي الحسن المريني الأساطيل المغربية للتحالف معه ضد غرناطة، بعد وفاة ابنه أبو مالك أمير الثغور الأندلسية، كما بعث إلى أصهاره الحفصيين بتجهيز أسطولهم إليه، فعقدوا عليه لزيد بن فرحون قائد أسطول بجاية، وفي سبتة ستة عشر أسطولا من أساطيل افريقية كان فيها من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية[3]، وعبر السلطان أبو الحسن البحر مع أسطوله في أخر سنة (740هـ /1340م) و في الثالث من محرم (741هـ/1340م) بدأ السلطان أبو الحسن المريني في توجيه ضرباته إلى طريف.

---

1 - روبار برنشفيك،تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن15، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1988،1م، ج1، ص191.

2 - نفسه،ص 192.

3 - شكيب ارسلان، الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، المكتبة التجارية الكبرى، فاس، ط1، 1936، ج2 ص317 .

و بينما كانت القوات الإسلامية مشغولة بهذا العمل العسكري، كانت قوى النصارة تقوم بعمل بحري خطير ضد القوات الإسلامية المحاربة حول طريف-هي جزيرة في الأندلس في جنوب اسبانيا-، حيث تمكنت الأساطير النصرانية من السيطرة على النظير بين المغرب و الأندلس، وبذلك تمكنت من قطع خطوط الإمدادات و التمويل عن القوات المرينية المحاربة حول طريف، وإستغل النصارى عامل الوقت إستغلالاً ممتازا، فلم يشتبكوا مع المسلمين إلا بعد مضي سبعة أشهر، شحت خلالها أقوات المسلمين و أزودتهم، و علوفات ماشيتهم حتى اختلت الأحوال في معسكراتهم[1]، و بينما كانت الأمور تمضي على هذا النحو من التدهور في الجهة الإسلامية كانت جيوش البرتغال بقيادة صاحب لشبونة، و غرب الأندلس تنظم إلى قوات قشتالة، التي كان يقودها الفونسو الحادي عشر مالك قشتالة، و في جمادى الأولى سنة (741هـ /1340م) دارت رحى معركة كبرى بين الفريقين.

و قبل بدأ المعركة استطاع النصارى أن يسربوا إلى طريف بعضا من قواتها، فدخلوها ليلاً على حين غفلة من الحراس، و لكن الحراس قاموا بقتل بعضهم، وأخفوا عن السلطان أبو الحسن أن عددا منهم قد اجتياز الحصار إلى داخل المدينة خوفا من بطشه.

و في الصباح دارت المعركة بين الطرفين، و فجأة خرجت قوات النصارى التي تسربت إلى طريف أخذت تهاجم مؤخرة الجيوش الإسلامية، و تمكنت من الوصول إلى معسكر السلطان، فأشعلت به النيران وقتلت حريمه و حاشيته، و كان لهذا الكمين أثره في اختلال صفوف المسلمين وإلحاق الهزيمة بهم، و نجا السلطان أبو الحسن إلى الجزيرة الخضراء، و منها إلى جبل الفتح حيث عبر من هناك إلى سبتة في نفس الليلة، وكانت هذه المعركة محنتا عظيمة في المغرب والأندلس لا تقل في قسوتها عن هزيمة[2] .

1 - محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص115.
2 - نفسه، ص116.

الفصـــل الثاني :

الحياة الاقتصادية لبجاية الحفصية

1 – الإنتاج الفلاحي

2 – الإنتاج الحرفـي

3 – التجارة

1- الإنتاج الفلاحي:

لكون الجانب الاقتصادي مهم في حياة الدول، مارس الإنسان في بجاية الحفصية مختلف الأنشطة الاقتصادية، لتأمين قوته وحاجياته اليومية من غذاء و لباس وأدوات، وأهم هذه الأنشطة التي مارسها:

أ – الري:

تمتاز بجاية بمناخ معتدل جدًا في الصيف، ويكثر سقوط المطر الغزير في منطقتها لاسيما في الشتاء، كما أن البحر الأبيض المتوسط يلطف دائما من جوها ويعطيها مميزات وخصائص المدن الساحلية،[1] كما تمتعت بجاية بثروة مائية هامة متكونة من أودية، وعيون وجداول[2] إذ تذكر المصادر الوادي الكبير[3] الذي كان مصبه يبعد عن المدينة ميلين[4] أو دونهما ، قال عنه البكري: « بشرقها نهر كبير تدخله السفن محملة».[5] بالإضافة إلى مياه وادي الساحل هناك أودية صغيرة أخرى مثل واد الخميس. إن هذه الموارد المائية هامة لكنها متعرضة لتقلبات المناخ و فهي موارد غير مضمونة ،لاسيما في غياب نظام لتخزين المياه الطبيعية، فلم نجد في مصادرنا أي مؤشر لوجود نظام لتخزين المياه الطبيعية للأمطار أو غيرها.

ب - الفلاحة:

- زراعة الحبوب:

انتشرت زراعة الحبوب في أراضي السهل الضيق أين لايتوفر الري[6]، وقد أخبرنا الحميري عن زراعة الحبوب في جهة بجاية بقوله:« ولها بواد ومزارع الحنطة و الشعير»[7] لكن مرمول يرى أن المنطقة تشكوا انقصًا في الحبوب، ذلك في قوله:

---

1 - عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص103.
2 - صالح بغريق، المرجع السابق ص124.
3 – **الوادي الكبير**:وهو نهر بجاية،عبد الواحد المراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب،مطبعة بريل، (ب م ن)،1891م،ص130
4 - مجهول: الاستبصار في عجائب الأمطار، دار الشؤون الثقافية العامة بغدار، (ب ط)، (ب ت)، ص130.
5 - أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب دار الكتاب الإسلامي القاهرة، (ب ت) ص82.
6 - صالح بعريف، المرجع السابق ص125
7 - محمد عبد المنعم الحميري، المصدر السابق ص81 .

« ولا تأتي أرض هذه الجهات (أي بجاية) بقمح كثير»،[1]ومن هنا نستنتج إن إنتاج الحبوب كان غير مستقر، ولعله أكثر من غيره في سنوات الجفاف لإرتباطــه الكلــي بالأمطــار، بينما اتفقت المصادر في المقابل على إزدهار البستنة وعمل البساتين، وتوسعت شيئا فشيئاً على حساب مساحة الحبوب، استجابة لطلب الأسواق الداخلية والخارجية لكن يبقى القاسم المشترك هو قلة المساحة.

- منتوجات الغابة:

تنتج الغابات النباتات الطبية[2] في جبل أميسون[3] حيث يقول الإدريسي:« ومن جهــة الشمال جبل يسمى أميسون هو جبل سامي العلو صعب المرتقى، وفي أكنافه جمــل مــن النباتات المنتفع بها في صناعة الطب مثل شجر الخضض والسقولوفندوريون والبر باريس و القنطوريون الكبير والزراوند والقسطون»[4]، وتوفر الغابات ما يسمى بقــشور بجايــة المحتوية على مادة صالحة لدباغة الجلود ومطلوبة خاصة من قبل التجــار الإطــاليين، توازيها مادة أخرى صالحة للصباغة والدباغة أيضًا مستخرجة من حشرة المغافير.

- تربية المواشي والصّيد البحري:

إن تربية الأغنام و الماعز تصدرت قطاع تربية الماشية لعلاقتها بالأسواق الخارجية فجلد الماعز والأغنام كان بضاعة مطلوبة من قبل الأوربيين، ولا تعــود أهميــة تربيــة الأغنام لإنتاج الجلود فقط بل أيضًا إلى إنتاج الصوف و الفروة حتى أصــبحت الفــروة السوداء الرقيقة الجيدة لأغنام بجاية «علامة مميزة»، ومن هذا يتبين لنا أن تربية الماشية كانت تمثل قطاعا حيويا في النشاط الفلاحي، ومارس البجائيون الصيد البحري أيضًا[5].

1 - مرمول كربخال، إفريقيا، تر: عمد حجي، مكتبة المعارف، (ب م ن)،1984م، ص77.
2 - صالح بعزيق، المرجع السابق،ص133.
3 – **جبل أميسون**: هو جبل عظيم عال قد ذهب في الجو،وقد خرج في البحرو فيه مياه ساخنة وعيون كثة وهو كثيــر القردة، أنظر: إسماعيل العربي،المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص321.
4 - أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي،نزهة المــشتاق في احتراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية ب ت، ج1، ص259.
5 - صالح بعزيق، نفس المرجع، ص ص 134 ،135.

2- الإنتاج الحرفي :

من أهم الصناعات في بجاية مايلي :

أ - صناعة السفن:

بما أن مدينة بجاية تقع على ساحل البحر المتوسط سهل لها موقعها مهمة الاتـــصال بالموانـي القريبة و البعيدة عنها، كما أن سكانها قد اهتموا بالنشاط التجاري مما أدى بهـــم إلى الاهتمام بصناعة السفن التي ينقلون سلعهم عليهـــا، أو القيـــام بالجهـــاد أو مواجهـــة الأساطيل الأجنبية التي تشن هجوماتها على موانـي المغرب الإسلامي انطلاقا من جـــزر البحر المتوسط كصقلية، ومن بين الذين تناولوا صناعة السفن ببجاية الإدريسي وصاحب الاستبصار لأنهما يتفقان في عدد دور الصناعة،[1] فالإدريسي يرى أن بجاية تحتوي علـــى دار صناعة السفن حيث يقول« و بها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكـــب والـــسفن والحربي»[2]، أما صاحب الاستبصار فيقول:«ولها دار لصناعة المراكب، وإنشاء السفن»[3] ومن هنا يكمن أن نستنتج أن دار الصناعة ببجاية لا تصنع نوع معين من السفن بل هناك أنواع مختلفة كما يدل على ذلك نص الإدريسي الحربية منها والمدنية[4].

ولكن من المعطيات السابقة يظهر جليا أن بجاية تنتج السفن الحربية بينمـــا لا نملـــك معطيات صريحة عن إنتاج السفن التجارية[5]،ولعل الإدريسي يقصد بالمراكب والسفن مـــا هو تجاري، وهناك بعض المعطيات تدل على أن التجار البجائيون كانوا يملكـــون ســـفنًا تجارية،والدليل على ذلك المنتجات التي تصدرها بجاية إلى أوربا، حيث يقـــول روبـــار برنشفيك :« فقد كانت الأسواق والجزات الخام أو المغسولة تصدر من بجاية إلى مرسيليا وجنوة و بيزة والبندقية»- هي مدن ايطالية تجارية-[6] وأن صنعها من قبـــل البجـــائيين، ممكن مادامت لهم قدرات تقنية لصناعة السفن بصفة عامة ومادامت المواد الأولية متوفرة[7].

---

1 - مختار حساني، المرجع السابق، ص280 .
2 - الإدريسي، المصدر السابق، ص260 .
3 - المراكشي ،المصدر السابق، ص130 .
4 - مختار حساني، نفس المرجع ، ص280 .
5 - صالح بعزيق، المرجع السابق، ص280 .
6 - روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص273 .
7 - صالح بعزيق، المرجع السابق، ص138.

ب- صناعة النسيج:[1]

تعتبر هذه الصناعة من أقدم الصناعات التي عرفتها البشرية، لأن الإنسان يحتاج إلى ملبسه كما يحتاج إلى طعامه، فالملابس تقيه حرارة الشمس والبرودة في الشتاء، ولهذا فإن بجاية لا تختلف عن غيرها من المدن التي عرفت هذا النوع من الصناعة[2]،فقد تعرضت لتلك الصناعة، حيث يقول الحسن الوزان :« وينبت هناك الكتان والقنب بكثرة وتضع منهما كمية كبيرة من القماش، وكله خشن»[3].

كما كان البرنس من أهم السلع التي غمرت جفنا من أجفان بجاية الواصلة إلى بنزرت ،كما كانت تصنع العمائم حيث يغلب على هذه العمائم طابع الزركشة وقد انتشرت هذه الصناعة في العهد الحمادي ولكن هذا لا يعني انقراضها في العهد الحفصي.

جـ - صناعة الفخار: تحتوي المصنوعات الفخارية على:

* مصنوعات عادية غير ملونة منقوشة، أو غير منقوشة: وتحتوي على قطع لأواني مختلفة للأكل، وأوعية للشرب، وقصاع، وجرار ومزهريات.
* المصنوعات الملونة بالأسود والمنقوشة: وتحتوي على قطع لأوعية وقلال ذات بطون ومزهريات.
* المصنوعات الفخارية الملونة بالأخضر والمنقوشة منها: جرار ومزهريات،و قاعدة مصباح صغيرة للإنارة.

و أما الخزف تفرع إلى:

- مصنوعات من الخزف العادي من العهد الحمادي حيث يلاحظ التشابة الكبير مع الصناعة الخزفية بقلعه بني حماد بالنسبة إلى المظهر والطابع والنماذج، وهي مزخرفة ببقع خضراء وخطوط بنية، وتحتوي على قطع من الأواني والقصاع[4].

---

1 – أنظر: الملحق رقم:13.
2 - مختار حساني، المرجع السابق، ص138.
3 - حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص102.
4 - صالح بعزيق، نفس المرجع، ص143.

- مصنوعات من الخزف الملون بالأزرق والمنقوشة بالأشكال الهندسية ومادة طينية وردية، وأراضيها بيضاء تميل إلى اللون الوردي، ولكن الأزرق هو المسيطر.

- مصنوعات من الخزف دي الإنعكاس المعدني: تستعمل فيها الزخرفة بالخطوط العمودية والأفقية الزرقاء والخطوط البنية و والحمراء والبقع الزرقاء[1].

د – صناعة الجلود :

عرفت بجاية صناعة الجلد والدباغة، وكانوا يستعملون الجلد المنمق بالذهب خصوصً في صناعة السروج،[2] ونشطت صناعة إعداد الجلود المخدومة والخام، والصناعات المرتبطة بها مثل تحضير مواد الصباغة والدباغة نظرًا لتزايد طلبات التجار الأوربيين كما كانت بجاية تنتج جميع أنواع الجلود : جلود الأغنام و الماعز والبقر والجمال، وتعدُ بجاية المواد المرتبطة بصناعة الجلود والفروة وهي: مواد الصباغة والدباغة، إذ تستخرج من قشور الأشجار المسماة (قشور بجاية) مادة صالحة للدباغة تباع إلى" المدن الإيطالية "، وتستخرج من دودة القرمز مادة الصباغة ذات اللون القرمزي الشبيه باللون الأرجواني، ومن نبات النيلة الزرقاء الصباغ الأزرق[3].

و - صناعات أخرى:

القناديل والتي كانت تستعمل في التنوير بواسطة مصابيح الزيت ، وقد كانت أبسط النماذج تلك القناديل المصنوعة من الطين، وكان استعمال الشمع أقل انتشارا وأغلى ثمنًا وكان الناس يعرفون الثقاب المصنوعة من الكبريت[4].

1 - المرجع السابق، ص144.
2 - إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع،الجزائر،1980،ص240.
3 - صالح بعزيق، المرجع السابق ص 145 .
4 - روبار برنشفيك، المرجع السابق ص ص297، 298.

3 - التجارة:

أ - العمـــلة:

كانت دار الضرب ضرورية في الدولة كما نراها ضرورية في هـــذه الأيـــام، إذ لا تخلو دولة من دول الأرض المتمدنة من دار تضرب فيها النقود،[1] وكان ذلك شأن الـــدول الإسلامية في كل أدوارها، ولم تكن تخلو عاصمة أو قصبة من دار الضرب.

وكانت صناعة ضرب النقود هي عبارة عن حديدة تطبع عليها الـــدراهم ولـــذلك سميت الدراهم المضروبة سكة،[2] فكانت تنقش فيها الكلمات التي يراد ضربها على النقود مقلوبة فيقسمون الذهب أو الفضة أجزاء بوزن الدراهم ويضعون الطابع فوق تلك القطعة ويضربون عليها بمطرقة ثقيلة حتى تتأثر وتظهر الكتابة عليها[3].

أما عن موقع دار الضرب، فلا نملك أي شيء يدلنا عليه، وقد تكون بنيت في العهد الحمادي بجانب " الدار السلطانية " قياسًا بغيرها، فدار الضرب بالقيروان كانت تقع بجانب دار الإمارة وكانت تقع بالقصبة بتونس، واعتماداً على أن ضرب السكة بإســـم الـــسلطان كان علامة رئيسية من علامات الحكم، لكن من جهة أخرى لا نعـــرف مكـــان " الـــدار السلطانية" وقد تكون دار الضرب قد تحولت بعد الحمادين إلى القصبة أو بالقرب منهـــا وهي التي بناها الموحدون باعتبارها قلعة ومركز للحكم، والثابت أن بجايـــة كانـــت دار ضرب للسكة في العهد الحفصي وما قبلها، فالدينار الحفصي عامة وريث الدينار الموحدي الذي أنشأه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور(حكم ما بين580-590 هـــ/184-1194م) كان يساوي قبله منذ عهد عبد المؤمن بن علي(حكم ما بين524-558هـــ/1130-1163 م) 2,36 غرام[4]، أي نصف العيار الشرعي تقريبًا المساوي ل 4,25 غرام، وما قرره يعقوب المنصور هو أن يصبح الدينار الذهبي للدولة الموحدية مساويًا للمثقال وهو ما يقابـــل 80 حبة من القمح وسمي أيضاً بالدينار اليعقوبي ،كما سماه الأوربيون « دبلون » و«دوبلا»

1 - جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي ، دار مكتبة الحياة ، بيرون، (ب ت)،ج1 ،ص138.
2 - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الموردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ت أحمد مبارك البغـــدادي دار بن قتيبة، الكويت، ط1 ،1989م ،ص199.
3 - جورجي زيدان، المرجع السابق ،ص139.
4 - صالح بعزيق، المرجع السابق، ص262.

أي الدينار المضاعف وقد قسم الدينار الحفصي إلى ثلاثة أجزاء: نصف دينار وربع دينار وثمن الدينار.

أما بالنسبة للعملة الفضية فقد ورثت الدولة الحفصية فـــي بدايـــة عهـــدها الـــدرهم الموحدي بكامل خصائصه: العيار، والحجم والشكل والنصوص والتقسيمات وكان وزنـــه مساويا لحوالي 1,50 غرام، وكانت أجزاؤه وأضعافه هي : القيراط وهو نصف الـــدرهم وربع الدرهم و الجزوبة: وهي ضعف الدرهم، لكن الدرهم الحفصي لم يعرف الإستقرار المتواصل مثلما كان الشأن بالنسبة للدينار ،لاسيما في ما يخص عياره وأجزاءه[1].

ولقد إقتدت الدولة الحفصية من أول ظهورها إلى آخر عصرها بسنن الموحدين في سبك مسكوكاتهم شكلا وكتابة، فلنأخذ مثلا: دينار أبي زكريا أول سلاطين بني حفص نجـــده مكتوبًا عليه في الدائر من الوجه الأول: « بسم الله الرحمن الرحيم – صلى الله على سيدنا محمد – وإلهكم الله واحد – لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم ».

وفي وسط المربع منه: « الواحد الله – محمد رسول الله – المهدي خليفة الله ».

وفي الدائر من الوجه الثاني: « الأمير الأجل – أبو زكريا يحي – بن أبي حفص».

وفي وسط المربع منه«أبو محمد عبد المؤمن- بن علي أمير المؤمنين–الحمد لله رب العلمين».[2]

وقد تختلف عبارات الكتابة المرسومة في نقود ملوك بني حفص، ففي أيام المستنصر بالله الأول ابن أبي زكرياء نجد وسط ديناره « الشكر لله ،والمنة لله، الحول والقوة بالله» وهذه العبارة كانت تسمي (بالعلامة) وتعرف في البلاد الشرقية (بالإشارة).

أما الدرهم الحفصي فكانت كلها مربعة الشكل،وأحيانا تكون مربعة مستطيلة ومرسوم عليها عبارات تتكرر ولا تتغير إلا قيلا مثل:«لا إله إلا لله - الأمر لله لا قوة إلا بالله ».

وفي القفا« الله ربنا– محمد رسولنا– المهدي إمامنا» في ثلاثة أسطر، وخط الكتابة علـــى النقد الحفصي يكون في غالب الأوقات بالحروف المعروفة، وهو الخط الأندلسي، وفـــي بعض الأحيان يكون بالخط الكوفي المزخرف خصوصًا في مبتدأ الدولة، ثم يقل استعماله في آخر المدة الحفصية[3].

1 - المرجع السابق، ص265.

2 - حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية التونسية، مكتبة المنار، تونس، 1964 ص456.

3 - نفسه، ص ص456 – 458.

ب - الأســـواق:

يتطلب ازدهار التجارة الداخلية وجود أسواق، ومن بين أسواق مدينة بجايـــة ســـوق البحر، ولعله من أكبر الأسواق بها لقربه من البحر حيث ترسوا السفن التي تحمل البضائع الآتية من الدول الأوربية المغربية والمشرقية، وتوجد به مجموعة من العبيـــد يقومـــون بأعمال كغسل أثواب الناس من طرف العنصر النسوي، ولعل ذلك كان يتم لصالح أحـــد التجار بالسوق الذي تجمع فيه الثياب من السكان ثـــم تقـــوم النـــساء بغـــسلها وإعادتهـــا لأصحابها.

وبما أن تلك الدكاكين في السوق يدفع أصحابها للدولة مبالغا تقدر من قبل أمراء بجاية فتوزع على التجار بدلك السوق وتجمع من طرف أمناء الحرف الذين يختارون من قبـــل الحرفين، أو تجار[1].

كما أن للمدنية أسواقا أخرى لا تختلف عن المدن الإسلامية الأخرى كتونس وفـــاس ومراكش، حيث نجد بها أسواقا مخصصة لسلع مثل سوق العطارين، الدباغين، والحدادين وسوق الشماعين، وسوق القماش، سوق السراجين[2].

أما بالنسبة لأسعار السوق فبما أن بجاية ولاية من ولايات الدولـــة الحفـــصية فمـــن الطبيعي أن تكون الأسعار موحدة في كامل الأراضـــي الحفـــصية، فيـــذكر القلقـــشدي: « إن أوسط الأسعار بها في غالب الأوقات أن يكون كل قفير من القمح بخمسين درهمـــا، والشعير دون ذلك، وغالبا سعر اللحم الضأن عندهم كل رطل إفريقي بدرهم قديم وبقيـــة الحوم دونه في القيمة، وفي الربيع ينحط السعر عن هذا القدر، وأن الدجاجة الجيدة عندهم بدرهمين جديدين»[3].

1 - مختار حساني، الرجع السابق، ص ص283– 284.
2 - ابن عامر، المرجع السابق، ص ص98– 99.
3 - أبو العباس القلقشندى، المصدر السابق، ج5، ص117.

ج - الطرق التجارية:

شكلت بجاية ما بين القرنين (6- 8هـ /12– 14م) منطقة استقطاب لمعظم تجار قبائل الزواوة-هي قبيلة من قبائل كتامة نواحي بجاية-، واعتبرت باديتها خزانا إقتصاديا تمون أسواق المدينة بمختلف المنتجات الزراعية والصناعية، نذكر من بينها: الزيت الزيتون، التين، العسل، جلود الحيوانات ومن المواد الصناعية الخشب ومادتي الزيت والقطران، ومواد الصباغة التي تصدر عبر مينائها إلى أقاصي البلدان والأمصار، لاسيما وأن بجاية قد إرتبطت في معاملاتها التجارية بعدد كبير من المدن المشرقية، والمغربية عبر مسالك بحرية وبرية منها:

أ - **الطريق الشرقي**: ويشمل خطين تجاريين:

* **الأول ساحلي**: يربط الإسكندرية ببجاية، جيجل، القل، بونة، مرسى الخزر ببنزرت تونس، سوسة، المهدية، صفاقص، قابس، طرابلس[1].

* **الثاني داخلي**: بجاية، سطيف، قسنطينة، الأربس، القصرين، وعند هذه النقطة يتفرع إلى طريقين:

- الأول باتجاه القيروان ومنه إلى المهدية على الساحل.
- والثاني بإتجاه الجنوب نحو قفصة إلى غدامس بإتجاه الصحراء الجنوبية.

ب – الطريق الغربية:

* **الأول ساحلي**:يربط بجاية بمراكش ويمر بميناء دلس، جزائر بني مزغنة وهران، ثم تبسة.

* **الثاني داخلي**: بجاية، المسيلة، أشير[2]، تلمسان، سجلماسة[3] ثم إلى فاس أو مراكش[4].

1 - مفتاح خلفات، بجاية أنموذج للمدينة المتطورة، مجلة الصراط، العدد18؛2009م، ص190.
2 – **أشير**: هي مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف افريقية الغربي مقابل بجاية في البر،ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1 ،ص202.
3 - **سجلماسة**: في صحراء المغرب، بينها و بين البحر خمسة عشر مرحلة، و هي على نهر يقال له زير، أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص274.
4 - مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص191.

جـ - الطريق الجنوبية:

* **الأول الطريق الجنوبية- الشرقية:** تربطها بجنوب إفريقيا وغدامس، وتشترك الطريق الجنوبية الشرقية مع الطريق الداخلية الشرقية في الجزء الرابط بين بجاية وقسنطينة سواء مرورًا بسطيف، أوجيجل[1]، ويقول الإدريسي في ذلك: « ومن بجاية إلى سطيف يومان، وبين بجاية[2] وباغاية- بنواحي خنشلة حاليا- ثمانية أيام»[3].

* الثاني الطريق الجنوبية تربطها ببسكرة ووجلان: ترتبط بجاية بالجنوب عن طريق محور مستقل عن محور بجاية - قسنطينة يمر بالقلعة والمسلية[4].

وقد وضح الإدريسي رسم الطريق بين بجاية والقلعة متتبعًا الأسواق والحصون الواقعة عليه، وذلك في قوله« والطريق من مدينة بجاية إلى القلعة تخرج من بجاية إلى المضيق إلى سوق الأحد إلى وادي رهت إلى حصن تيكلات[5]، ومن حصن تيكلات إلى تادرفت[6] إلى سوق الخميس[7] إلى حصن بكر»[8].

4 - الصادرات والواردات:

لم يكن النشاط الإقتصادي لمدينة بجاية مقتصًرا على التجارة الداخلية فقط ، بل إمتد إلى التجارة الخارجية، حيث اعتبرت بجاية من بين مدن مغرب الإسلامي التي لعبت دورًا بارزًا في العلاقة التجارية،التي كانت تربطها بدول المغرب المجاورة لها، فكانت القوافل التجارية تنتقل منها نحو مدن الدولة الزيانية ومنها عاصمتها تلمسان بالرغم من الصراع الذي إشتد بينهم[9].

---

1 - صالح بعزيق، نفس المرجع ص159.

2 – الإدريسي، نفس المصدر ،ص260.

3 – أنظر: الملاحق رقم: 5 – 6- 7 -8 -9 .

4 - صالح بعزيق، المرجع السابق، ص182.

5 – **حصن تيكلات**: هو حصن منيع وهو على شرف مطل على وادي بجاية و به سوق دائمة، و به فواكه ولحوم كثيرة رخيصة، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص269.

6 – **تادرفت**: هي مدينة في طرق افريقية بين ودان و زويلة، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق،ص5.

7 – **سوق الخميس**: هو حصن في أعلى جبل بجاية،أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص261.

8 - نفسه، ص262.

9 – أنظر: الملحق رقم: 12.

ومن أبرز التجار البجائيين الذين باعوا لتلمسان" أبو عمران المشدلي" الذي وصلها رفقة قافلة تجارية، كما كانت القوافل تنتقل من بجاية نحو فاس، وينتقل التجار من بجاية نحو قسنطينة، ومنها إلى تونس، وتستمر تلك القوافل في سيرها نحو المشرق[1]، ومن السلع الواردة من بجاية إلى بنزرت البدن والبرنس،كما تجلب بجاية بدورها الفستق ودهن البنفسج وخل العنصل من قفصة[2].

كما عمدت مدينة بجاية إلى تنشيط الحركة التجارية مع السودان الغربي ، فإنتقلت القوافل منها نحو الواحات الصحراوية ، ومنها إلى السودان الغربي إذ تأتيها الجلود المفضلة من غدامس والعبيد والذهب من مدينة " كاغو"[3] ومملكة" بورنو"[4]، وأحيانا يبادلون الخيول البرية بالعبيد السود فيأخذون عن كل فرس بربري خمسة عشر أو عشرين عبدًا، وقد بلغ ثمن كل فرس مابين أربعين وخمسين مثقَالا من الذهب، ويحقق بذلك هؤلاء التجار ثروات طائلة جراء هده العملية، وتبدو أهمية البضائع المنقولة[5] من بلاد السودان والصحراء[6] عموما لكثرة الطلب عليها من قبل التجار الأوربيين من جنوة، بيزة، البندقية،مرسيليا، وبرشلونة[7] غرناطة[8]، جزر البليار (هي ثلاثة جزر شرق إسبانيا ميورقة ومنروقة ويابسة)[9].

وقد امتد المجال الجغرافي الذي كان يمثل مقصد التجار المغاربة على إفريقيا الغربية والوسطى لعامل أساسي وهو الثروات التي كانت تحتويها:

أولاً: الذهب: استطاع التجار المغاربة إنشاء آلية تمكنهم من الانتفاع من الأسواق السودانية لأنهم فهموا متطلباتها وحاجياتها، وربطوها بالأسواق المغاربية حيث كان الملح هو البضاعة الرئيسية

---

1 - مختار حساني، المرجع السابق، ص286.

2 - صالح بعزيق، نفس المرجع، ص182.

3 – كاغو: هي مدينة عظيمة بعيدة بنحو400 ميل عن تنبكتو إلى جهة الجنوب الشرقي،الحسن الوزان،المصدر السابق،ج1،ص 169

4 – بورنو: تقع في السودان الأوسط، دنيس يولم، الحضارات الإفريقية، تر:علي شاهين،دار مكتبة الحياة، بيروت،1974م، ص59

5 – مفتاح خلفات: المرجع السابق ص 192 .

6 - أنظر الملحق رقم: 12.

7 – برشلونة: هي مرفأ بشمال شرق اسبانيا، أنظر مسعود الخوند، المرجع السابق، ص304.

8 – غرناطة: هي مدينة اسبانية (الأندلس)، أنظر: مسعود الخوند، المرجع السابق،ج1،ص308.

9 – مفتاح خلفات،المرجع السابق ص 192 .

التي تقع مبادلتها بالذهب، فالملح ثمين في بلاد السودان، لأنهم في حاجة ماسة إليه، ولأنه غير متوفر في مناطقهم بالذات ، فكان التجار المغاربة يشترون الملح من تاغزا[1]، ومنها يحمل إلى مملكة مالي، حيث يبادلونه بالذهب بأثمان مرتفعة في أهم الأسواق: مالي، تنبكتو(تقع في شمال مالي عند العقدة الكبرى لنهر النيجر)، كوكو[2]، كما كان الحصول على الذهب يتم بتبادل بضائع أخرى منها ما خضع لآلية مشابهة كالنحاس الذي مثل بضاعة للتبادل المربح بالذهب. إن الملح والنحاس بضاعتان تنقلهما القوافل من بلاد المغرب إما من إنتاج مغربي أو أوربي[3].

كما تأتي هذه القوافل المغربية، أو المصرية بالأقمشة والملابس أيضًا وسلع متنوعة تكون مطلوبة في بلاد السودان لتبادلها بالذهب بثمن مرتفع، وكانت الخيول القادمة من بلاد المغرب أو مصر مطلوبة جدًا من قبل الملوك والأمراء ورجال السلطة لتكوين الجيش خاصة وهي تبادل أيضًا بالذهب، لكن مبادلتها تتم أساسًا بالعبيد.

ثانيا العبيد: يشكل البحث عن العبيد الدافع الأساسي الثاني بعد الذهب وهي تجارة مربحة كانت تعتمد أساسا على مبادلة الخيل بالعبيد، وتخضع لدورة واضحة : شراء الخيول من بلاد المغرب بالدنانير الذهبية ومبادلتها بالعبيد في بلاد السودان ، ثم يباع العبيد في أهم أسواق بلاد المغرب[4]، من بينها بجاية، حيث تقوم هذه الأخيرة بشراء العبيد الدين يأتون إليها من السودان الغربي عن طريق القوافل التجارية ،كما كانوا يعمدون إلى الوساطة من أجل تسريح العبيد من المسيحين الدين يباعون بجاية[5].

إذن الذهب والعبيد بضاعتان مطلوبتان من قبل التجار المغاربة داخل المغرب الإسلامي ومن قبل السلطة، ويتلهف عليها التجار الأوربيون القادمون إلى الموانى الساحلية حيث يطلبون البضاعتين، ومن هنا تبدأ آلية جديدة للتبادل المربح مع تجار المتوسط ، ويبدأ معها أهم دور تقوم به بجاية في التجارية الصحراوية .

1 – **تاغزا**: هي مكان مأهول فيه عدد من المناجم الملح التي تشبه مقالع الرخام،أنظر:حسن الوزان،المصدر السابق،ج1، ص108.
2 – **كوكو**: تقع في بداية الثنية الثانية لنهر النيجر و هي لا تبعد عنه بأكثر 6 كلم، أنظر: أحمد شكري، الإسلام و المجتمع السوداني إمبراطورية مالي ،1230-1430 ، المجمع الثقافي، أبوظبي ،1999م ،ص
3 – صالح بعزيق، المرجع السابق، ص ص 191- 192 .
4 - المرجع السابق، ص192.
5 - مختار حساني، المرجع السابق ص289.

الذهب: لقد كانت أوربا تنتقي ذهبها من بجاية لأن رصيدها منه محــدودًا جــدًا ، بينهــا أصبحت العملة الذهبية في تزايد خاصة منذ القرن 7هــ/ 13م عاملين:

– كان الإنتاج محدود جدًا، فمناجم أوربا الوسطى وآسيا الصغرى، وبلاد القوقاز لم تكن تعني شيئًا.

- التجارة مع المشرق جرفت معها كميات ضــخمة مــن العملــة الذهبيــة أو الفــضية إلى حدود القرن (7هــ/ 13م)، لأن التجار الإيطاليين آنداك لم تكن بأيديهم بضائع ثمينــة لمبادلتها بالتوابل[1].

لهذه الأسباب إجمالاً إحتاجت أوربا لذهب السودان، فبحث عنه في مواني بلاد المغرب.

ولقد تحدثنا سابقا على أن بجاية فيها دار لضرب العملة الذهبية والفضية وهذا دليل على أن بجاية كانت تنشط تجارة الذهب، وكانت أيضًا سوقًا من أسواق صباغة الذهب،كما كانت بجاية موطنًا هامًا من مواطن اليهود الذين نشطوا في تجارة الذهب، وكانــت لهــا جاليات قديمة سمت نفسها" محلية "(توشافيم)أضيفت إليها جاليات هاجرت من الأنــدلس نعتت "بالمطرودة "(ميغوراشيم).

نتجت هــذه الهجــرة عــن الحملــة الاضــطهادية التــي وجهــة ضــد اليهــود سنة(793هــ/1391م) في شبه الجزيرة الإبيرية، لاسيما في مملكــة قــشتالة، ومنطقــة قطلونية، وجزر البليار، ويبدو أن قدومهم قوبل باستحسان السلطة الحفصية، التي اعتبرت أن دورهم قد يكون إيجابيا في الحياة الاقتصادية، ولذا ليس من الغريب أن يكون دورها هاما في بجاية في ميدان حرفة الذهب وتجارته[2].

فقد سعت أوربا بطرق متنوعة للتزويد بالذهب، ورحب المغاربة بذلك لأنهم يبيعونه غاليا بالمقارنة بكلفته ولأنهم يأخذون السلع الأوربية إلى بلاد السودان لمبادلتهــا بالــذهب بأغلى الأثمان، يعتبر الأوربي من جهته أن العملية رابحة حين يقارن ثمن الــذهب فــي أوربا وثمنه في موائي المغرب.

1 - صالح بعزيق، المرجع السابق،ص193
2 – نفسه، ص 194.

أما بالنسبة إلى السلع التي يقدمها الأوربيون مقابل الذهب، فنعتقد أنها كانت متكونة من تلك التي كانت مطلوبة في بلاد السودان، من تلك التي تحتاجها بلاد المغرب نفسها[1].

إن الجمهوريات التجارية في إيطاليا الشمالية كانت تسعى إلى جلب الحبوب من بلاد المغرب، كما كان الشأن في سالف الزمان بالنسبة إلى روما، وقد ورد ذكر الحبوب والدقيق في تعريفة[2] تابعة للبندقية من بين البضائع التي كانت البندقية تستوردها من بجاية، ومنذ عهد بعيد تحصلت جنوة والبندقية أيضًا على حق تزويد سفنها بالحبوب والبسكويت في المواني الحفصية بكل حرية، كما كانت بجاية تصدر الصوف والجلود منذ الفترة السابقة لسنة (583 هـ/1171م) إلى كان سكان بيزة يجلبون الجلود من مملكة بجاية[3].

منذ القرن (7 هـ /13 إلى القرن 9 هـ/ 15) لم تتوقف البلاد الحفصية عن تزويد أوربا بالسلع، في شكل أصواف وجلود، ومنتوجات تربية الماشية التي تساعد على تطويرها ونمو حياة الترحال، فقد كانت الأصواف والجزات الخام المغسولة تصدَّر من بجاية وتونس وجربة وطرابلس إلى مرسيليا وجنوة وبيزة والبندقية، وكانت جلود البقر والغنم والعنز، تنتقل بصورة محسوسة من نفس المصادر إلى نفس المقاصد[4].

على أن الجمهوريات الإيطالية لم تكن تحتفظ بمجموعة الجلود المستوردة لتلبية حاجاتها الخاصة، بل كانت تقوم بإعادة توزيع قسم كبير منها، إذ كانت جلود تونس وبجاية تصل حتى " فلند ريا".

كما كان البنادقة يرغبون كثيرًا في لوز و زبيب بجاية، ففي سنة(631 هـ-1234م) وجه أحد التجار المرسيلين إلى بجاية حمولة سفينة لبيعها هناك، فتم تحويل ثمن تلك البضاعة إلى ما يقابل قيمتها باللوز، ونظرًا لظروف النقل البحري في ذلك العصر فإن الأمر لم يكن يتعلق بالنسبة إلى ذلك النوع من التجارة، إلا بالفواكه الجافة،لأن الفواكه الطازجة والخضر المعرضة للتلف كانت خارجة عن ذلك النطاق.

---

1 - المرجع السابق، ص194.

2 - تعريفة: وتعني قائمة الأسعار، أنظر جبران مسعود، المرجع السابق، ص255.

3 - روبار برنشفيك، نفس المرجع ص292.

4 - صالح بعزيق، المرجع السابق، ص274.

وتجدر الإشارة إلى إنتشار تصدير الشمع من إفريقيا الشمالية[1] إلى أوربا، وقد كانت المنطقة الشمالية من إفريقية توفر جزءًا كبيرًا تلك المادة الأولية المقدرة حق قدرها، ومن المحتمل أن تكون بجاية قد أعطيت إسمها إلى الكلمة المستعملة في بلاد النصارى للدلالة على« الشمعة» التي تمثل في تاريخ التنوير تقدما لايستهان به.

ومن المواد المعدنية المصدرة إلى إيطاليا ، وحتى إلى فلند ريا في القرن الثالث عشر « الشب » الوارد من بجاية.

كان التجار الأوربيون يجلبون الفضة في شكلها المعدني، أو النقدي لمبادلتها بالذهب في بجاية، ومثيلاتها من الموانى المغربية، و كانت أوربا تصدر هذا المعدن لأنه يتوفر عندها عكس الذهب، وذلك بفضل مناجم "سربيا" التي يتزود منها تجار جنوة.

لذلك كانت مصلحة أوربا أن تصدر الفضة، وتحافظ على رصيدها من الذهب بل تعمل على تنميته.

تمثلت الطريقة الأخرى لبيع الفضة في تكثيف تصديرها في شكلها النقدي، خاصة منذ بداية القرن (7هـ/13م)، لذلك ضربت دارهم في أوربا نفسها سميت « ملاراس» حاملة لنصوص عربية، وصدرت خاصة إلى مواني بجاية وسبتة ووهران وإلى مدينة تلمسان[2]، بالإضافة إلى السلع كان تجار أوربا يقومون بشراء الأسرى أو افتداءهم، ففي سنة (804 هـ/1402م)، سلم البنادقة كمية من الزيت إلى أهل بجاية لافتداء الأسرى.

ولكن كل هذا لا يدل طبعا على أن إفريقية.[3] كانت دوما، وأبدًا في حاجة إلى إستهلاك الزيت المستورد من بلاد النصارى، بل بالإضافة إلى دلك كان لها زيتها الخاص، ولولا ذلك لما أمكنها تصدير الزيت إلى الخارج، ويبدو أنه كانت هناك بعض الفوارق بين الزيوت المختلفة المصادر من حيث الجودة والثمن، الأمر الذي يبرر وجود تلك الحركة المزدوجة، بل الأكثر من ذلك أنه كانت توجد بعض التغيرات المحسوسة

1 - المرجع السابق، ص274.
2 - صالح بعزيق، المرجع السابق، ص274 .
3 - روباربرنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص269 .

حسب السنوات بالنسبة إلى أهمية كل من المحاصيل المحلية والأجنبية، وترتب على كل ذلك تلك التقلبات الهامة في إتجاه المبادلات المتعلقة بتلك المادة.

كما قام تجار مرسيليا بشراء الأسرى المسيحيين ففي سنة (830 هـ/1427م) وصلت سفينة سانتا ماريا تحمل مجموعة من الأسرى كانوا بموانى المغرب الإسلامي ومنها إلى بجاية، وبلغ فداء الأسير الواحد ثمانون للشيخ ومائتي بالنسبة للشباب.

إلى جانب الصادرات والواردات التي تستوردها أو تصدرها بجاية لدول أوربا، كانت تبرم معاهدات تجارية، فقد تعاملت بجاية مع دولة أرغون التي أقامت لها أول فندق بتلك المدينة، فقد نصت إحدى الوثائق التي تناولت الوجود المسيحي ببجاية أن أقدم فندق لهذه الدولة يرجع إلى سنة (657هـ/1259م)، به مجموعة من تجار أرغون يقومون بتنشيط المبادلات التجارية، وحتى مراقبة السلع التي كانت تصدرها إلى أرغون من المدن القريبة من بجاية مثل جزائر بني مزغنة[1] وجيجل والقل وقسنطينة، فيراقبون القوافل التي تنتقل بين تلك المدن.

أقام الأرغونين فندقا لهم يشرف عليه قنصل عين من قبل حكومته سنة(681هـ/1283م) وكان يراقب من خلاله المبادلات التجارية بين جزائر بني مزغنة وقسنطينة، ومما يؤكد على عظمة هذا التبادل التجاري أنه في الأسبوع الأول من سنة (682 هـ/1284م) اتجهت مجموعة من السفن التابعة لقطلونية نحو بجاية للقيام بالتبادل التجاري الذي إستمر طوال السنة، ولم يقتصر على الفصول التي تتميز بهدوء البحر المتوسط، بل شمل حتى فصل الخريف والشتاء، لأن سفن قطلونية[2] كانت تسير موازية لسواحل، وتتوقف بالخلجان عندما يضطرب البحر، وعندما يهدأ تستمر في سيرها.

وتميز عهد المالك الأرغوني ألفونسو الخامس بتحسين التبادل التجاري و قبل ذلك كانت هناك علاقة تربط بين هذا الأخير وأمير بجاية أبي زكريا الحفصي، ومما يؤكد ذلك أن أحد ملوهم و اسمه جاكوا أرسل سفيرًا لبجاية هو سانشو كما أرسل سفير آخر لمعالجة وضعية التبادل التجاري بين دولته وتلك الإمارة، مما أدى إلى إبرام معاهدة تجارية مع

---

1 - مختار حساني، نفس المرجع،ص289 .
2 - نفسه ، ص294.

إمارة بجاية حملها سفير أرغوني مع رسالة، وتنص تلك المعاهدة على تنـشيط الحركـة التجارية وفي سنة (633هـ/1236م) قامت جنوة بإتصالات مع أمراء المغـرب، تلـك الاتصالات التي أدت إلى إبرام معاهدة سنة (647هـ/1250م) سمحت للجنويين بالقيـام بالنشاط التجاري مقابل دفع ضريبة سواء كانت ذهبية، أو فضية في كل من تونس وبجاية.

كان تجار مرسليا على أغلب مواني بلدان المغرب، ومن بينهـا بجايـة وهـران خـلال سنة(633 هـ/ 1236م)، ومن العائلات المرسيلية التي لعبت دورًا بارزًا في النشاط التجـاري مع إمارة بجاية عائلة ماندال، حيث كانت تحتكر جزءً كبيرًا في العلاقة التجاريـة مـع بلـدان المغرب الإسلامي وعلى الخصوص بجاية، فالسفن التابعة لها تأتي إلى بجاية ومن بين أفرادها " برونار" الذي شحن من بجاية خمسة قناطر ونصف من الصوف بثمن أربع وعشرين[1].

1 – المرجع السابق، ص254.

الفصـــل الثالث :

الحياة الاجتماعية والثقافية

1 – الحياة الاجتماعية

2 – الحياة الثقافية و الفنية

1 - الحياة الاجتماعية:

تكون المجتمع البجائي خلال القرن (7-9 هـ/13-15م) من عديد الطوائف، التي جمعت بين سكان بجاية المحليين والوافدين إليها من مختلف الجهات، والتي شكلت بدورها عناصر جديدة.

أ - عناصر السكان:

- **السكان الأصليون:** البربر هم العنصر الأول الذي ملأ بقبائله وشعوبه وبطونه السواحل والسهول والتلال والجبال والهضاب من إقليم المغرب الأوسط، مثله في ذلك مثل بقية أقاليم المغرب، وأختلف المؤرخون طويلا في نسب البربر من الأمم القديمة، فقيل[1] إنهم من بقية قوم "جالوت" لما قتل هرب قومه إلى المغرب فحصلوا في جبالها،[2] وقيل إنهم من لخم وجذام، كانت منازلهم بفلسطين وأخرجهم منها ملوك فارس فلما وصلوا إلى مصر منعهم ملوكها من المقام بها، فعبرو النيل إلى ديار المغرب وانتشروا في أرجاءها، وقيل أنهم من ولد القبط المصرين، وهم قبائل شتى من حمير اليمنية ومضر العدنانية والقبط والعمالقة والكنعانين وقيل إنهم أبناء أمازيغ بن كنعان بن حام بن نوح ، وكان أمازيغ أخا لفلسطين، وبارح أبناؤه الشام إلى ديار المغرب فهم حاميون.

لكن هذه الأقوال في أنساب البربر أحاديث خرافة، إذ مثل هذه الأمة البربرية المشتملة على أمم وعوالم ملأت جانب الأرض لا تكون منتقلة من جانب آخر وقطر محصور، والبربر معروفون في بلادهم وأقاليمهم متميزون بشعارهم من الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الإسلام. كما أن في نسب البربر اختلافا في الآراء كذلك كلمة بربر نفسها، فمن قائل أن البربر هم الذين سموا أنفسهم بهذا الاسم من قديم، ومن قائل إن العرب هم الذين أطلقوا هذا الاسم على سكان البلاد المغربية لعدم فهمهم للغتهم[3]، فيقول ابن منظور في هذا الصدد « البربر هم جيل من الناس يقال أنهم من ولد بر بن قيس بن عيلان»[4] ومن قائل إن الكلمة من أصل لاتيني هو" بربروس" وهو من لا يفهم كلامه، وأطلق الرومان هذه الكلمة على شعوب البربر، لأنهم

---

1 - شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، ط1 و ص50.
2 - زكرياء بن محمد بن محمود الغزو يني: آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر، بيروت،(د.ت.ن)ص63.
3 - شوقي ضيف: أنفس المرجع ص51.
4 - ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري: لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د-م- ن) (د.ت.ن)، ج5، ص120.

يتكلمون بلغة لا يفهمونها، ولعل هذا القول أكثر سدادًا، لنزول الرومان في بلاد المغـــرب القديم، وعنهم أخذها العرب وأطلقوها على سكان المغرب جميعا[1].

ويقول ابن خلدون: « إن الزواوة من قبائل كتامة، ومواطن الزواوة بنواحي بجاية مـــابين مواطن كتامة وصنهاجة أوطنوا عنها شمالا في جبال شـــاهقة متـــوعرة، تتـــدعر منهـــا الأبصار ويضل في غمرها السالك، مثل بني غبرين بجبل زيري»[2].

وكذلك يقول مرمول: « الزواوة منتشرون في أقاليم بلاد البربر ونوميديا، ومعظمهم رعاة ولو أنهم من بينهم صناعا ينسجون القماش والجوخ، وهم في الغالب خاضـــعون للملـــوك أو الأعراب على فقرهم المدقع، ويعيشون في الجبال والتلال»[3].

وقد وصف حسن الوزان سكان بجاية « البجائيون أناس طيبـــون ميـــالون إلـــى المـــرح والموسقي والرقص ... وهم أقوياء سباقون للخير ، يرتدون كلهم تقريبا لباسا مناسبا»[4]

وبما أن الدولة الحفصية إمتدت إلى غاية بجاية بالتالي تعتبر هذه الأخيرة جزءا من إقليم إفريقية ،حيث ذكر روبار برنشفيك « كان لباس أهل إفريقية بالمقارنة مع المصرين فـــي نفس التاريخ يتسم ببساطة أكبر بكثير وتزداد تلك البساطة أكثر فأكثر بالنسبة إلى الطبقات السفلى من سكان المدن وجل سكان الريف»[5] فنعدما تحدث ابن خلدون عن صناعة الخياط لاحظ « أن أهل البدو يستغنون عنها، وإنما يشملون الأثواب إشتمالا وإنما تفصيل الثيـــاب وتقديرها وإلحامها بالخياطة للباس ،من مذاهب الحضارة وفنونها»[6]

لكنهم كانوا يتحاشون لبس العمائم «المفرطة في الكبر» والمثيرة للسخرية ، كما كان يفعل غيرهم في الأقطار الإسلامية الأخرى للترفع عن عامة الناس .

---

1 – شوقي ضيف، المرجع السابق، ص51.
2 – عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص168.
3 - مرمول كربخال، المصدر السابق ،ج1، ص93 .
4 – حسن الوزان، المصدر السابق ،ج2 ، ص 51 .
5 – روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2 ، ص 288 .
6 – عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة ،تح: أبو عبد الرحمان عادل بن سعد، الدار الذهبية، القاهرة، 2002، ص46 .

ولقد كان رجال الدين والعلماء والتجار والصناعيين وكل من كانوا يتقلدون منصبا رسميا كانوا يضعون على رؤوسهم نفس الشيء، ولكنهم لا يتركونه مغطي، وأما الأعراب فقد اتبعوا بالنسبة لوضع العمامة طريقة أسلافهم بربر زناتة الرحل، فقد كانوا يلفون العمامة حول الرقبة ومكان حبل الوريد، قبل لفها حول رؤوسهم، ثم يتلثمون بالطرف الباقي تحت الدفن.

أما عامة الناس أو الأشخاص غير المعتنين بهندامهم ، فقد كانوا يضعون على رؤوسهم «طاقية» من الصوف تعرف منذ ذلك التاريخ باسم «الشاشية»ويمكن أن يلبسها الأطفال أيضا.

ويبدو أن الأحذية كانت متنوعة أكثر، فمنها«البوابيج» المصنوعة من الأسل- هو نوع من الأشجار- والأحذية المصنوعة من جلد الأيل[1].

– **السكان الوافدون** : قدمت إلى بجاية الكثير من العائلات، القسم الكبير منها الأندلسيون وكذلك التونسيون، التلمسانيون، حيث أقاموا عشائر وقبائل وسكنوا بالمدنية (بجاية) أو بضواحيها[2]، لقد تكونت القاعدة البشرية الواسعة لمجتمع مدينة بجاية من عناصر مغربية قبل كل شئ، سواء نتيجة تدفق السكان من منطقها المحلية المحيطة بها أو من مناطق المغرب الأوسط خاصة الحضنة، وكانت من البربر الصنهاجين أساسا وهم إما ريفيون تحضروا أو حضر من المدن، وأهمها القلعة والمسيلة، وهم من الطبقة العامة أو الخاصة و انصهرت في هذه القاعدة الواسعة[3].

وكذلك سكان قبائل الزواوة الذين استوطنوا بجاية شكلوا رافدًا في تقوية النسيج العمراني ونمو الحركة الديمغرافية بالمدينة وقد كانت هجرتهم بتشجيع من الناصر بن علناس (حكم ما بين (454-481 هـ /1062- 1089م) وابنه المنصور

1 - روبار برنشفيك، المرجع السابق،ج2 ، ص288.

2 -Mouloud Gaid: Histoire de Begaia et de sa regiom de puis l'antquité jusqui 'a 1954,(S.N .E.D) Alger ,1976 .p:33

3 - صالح بعزيق، المرجع السابق، ص 376 .

(حكم ما بين481- 498هـ/1089-1104م) اللذان عملا على استقطاب سكان البادية التي تقع في المحيط الجغرافي للمدينة، لاسيما من منطقة الزواوة[1].

كما جاءت الهجرة الأندلسية ابتدءا من القرن(6 هـ/ 12م إلى القرن 9هـ/ 15م)

وكان سبب هذه الهجرة هزيمة الموحدين في محركة العقاب(609 هـ/ 1212م)، وكذلك تفاقم الخطر المسيحي إذ توالت النكبات حتى أصبح يمثل الدافع الرئيسي للهجرة.

وهكذا أصبحت بجاية من ضمن الأقطاب التي شكلت ملجأ المهاجرين، وقد تطورت هذه التركيبة البشرية خاصة أثناء القرن (7هـ/13م)، حتى أصبح العنصر الأندلسي عنصرًا أساسيا في بجاية، لأن قدومهم لم يكن فرادى فقط بل أفواجا وجماعات أيضًا، وهو عنصر حضري لأن الأندلسين قدموا إلى بجاية أساسا من المدن الأندلسية الكبرى مثل: اشبلية ومرسية بلنسية وغيرها، وكانوا في البداية أقلية ينتمون إلى النخبة، ثم قدم عدد عام من العامة والخاصة في نفس الوقت، وتغيرت بالهجرة الأندلسية التركيبة البشرية لمجتمع بجاية، وأصبح الأندلسيون يمثلون أحد مكوناتها الأساسية.

كانت الحصيلة منذ بداية العهد الحفصي متمثلة في مزيج بشري ذوي أصول متنوعة. فمن الناحية البشرية والجغرافية كانت بربرية وعربية ومغربية وأندلسية، تضاف إليها أقلية يهودية لا ندري كيف جاءت ربما من خلال التجارة بين بجاية وأوربا، وكذلك عناصر أجنبية متكونة من التجار الأوربيين أو الميلشيات الأرغونية والميورقية[2].

ب - طبقات المجتمع البجائي:

- أصحاب السلطة :

* **العائلة الأميرية** : كان يوجد ببجاية فرع من العائلة الحفصية سواء في حالات التبعية أو الانفصال،ماعدا في الفترات التي تقع فيها تعين ولاة من غير الأسرة الحفصية. و قد تم التعرف على أربعة وعشرين واليا من جملة الولاة التابعين للدولة الحفصية[3]، بلغ مجموع السنوات التي قضوها، على رأس ولاية بجاية مائة و واحد و خمسون سنة تقريبا منهم خمسة عشر واليا من العائلة الحفصية، جملة سنواتهم حوالي مائة و ستة عشر سنة

1 - مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص181.
2 - صالح بعزيق، المرجع السابق،ص376.
3 – أنظر: الملحق رقم:04 .

منهم سبعة هم أبناء سلاطين تونس قضوا حوالي ستة و سبعون سنة، والبقية أي تسعة هم من شيوخ الموحدين والأندلسيين ومن أصول مختلفة، نضيف إليهم أولئك الذين حكموا بجاية أيام إنفصالاتها، فهم أمراء حفصيون أيَضا[1].

نستنتج أن بجاية كانت تحكمها غالبا عائلة أميرية حفصية، خاصة أبناء السلطان مباشرة، بالتالي حضورها في المدينة كطبقة اجتماعية يكاد يكون مستمرًا حتى وان تغير أفرادها بالرغم من أنها لم تشكل طبقة محلية ناشئة في بجاية، بل جزءًا من الطبقة الاجتماعية العليا في المجتمع الحفصي، وقد تمتعت بنفود اجتماعي مماثل لنفوذ العائلة المالكة في تونس لأنها كانت في مستوى مدينة بجاية صاحبة الملك.

لقد كانت تستمد نفوذها ومكانتها من شرعية الملك أي أنها حكمت بجاية بوصفها جزء شرعي من العائلة المالكة، فاحتلت بها قمة السلطة والثروة، كما كانت هذه الأخيرة ركيزة أساسية للعائلة الأميرية، فكانت أولا تتمتع بكل ما تملكه العائلة الحفصية ببجاية بوصفها جزء لا يتجزأ منها، وثانيا كانت لها ثروتها الخاصة، وقد تكون إنتفعت من الحركة التجارية لتنمية مداخيلها.

*** أصحاب المناصب العليا في الحكم:**

إن أكثر الناس جاها بعد العائلة الأميرية هم أولئك الذين كانوا يخدمون الملك في أعلى مناصب الحكم وهم شيوخ الموحدين والعائلات الكبرى الأندلسية ومحلية، يصعب ترتيبهم عموديا بصفة آلية لأنهم كانوا قي صراع تفوق، وقد تعلو فئة وتنزل أخرى.

لقد كان التربع في أعلى القسم الاجتماعي بعد العائلة المالكة، إذن رهين السيطرة على أعلى المناصب، كالولاية والحجابة، ولم تكن هذه السيطرة ممكنة إلا بربح معركة حفية ولعب صاحب الملك دورًا حاسما في ارتقاء هذا ونزول ذاك.

- **الفقهاء**: مثل الفقهاء فئة متسعة في بجاية واختلف توظيفهم لعلمهم، ولكن استطاع جميعهم أن يكتسبوا بفضله مكانة اجتماعية مرموقة ونفوذًا اجتماعيا واسعا[2].

1 - صالح بعزيق، المرجع السابق،ص376.
2 - نفسه، ص398.

ويبدو أن المحليين والمغاربة كانوا متفوقين في مساهمتهم في الخطط الدينية والمتمثلة في القضاء، كقضاء الجماعة والأنكحة وقضاء الأحكام والمشاورة، وكذلك الإمامة بفرعيها إمامة صلاة الفريضة وإمامة الخطبة، وفي العدالة للإشهاد والتوثيق على حساب الأندلسين بينما كان هناك توازن بينهم في الخطط الغير دينية[1].

- **التجار**: كان لتجار فئة واسعة في بجاية ذات وزن اقتصادي وسياسي كبير وإحتلوا مكانتهم الاجتماعية بفضل ثرواتهم، فقد عبر الونشريسي عن فئة أكابر التجار ذوي الأموال الطائلة ببجاية ضمن مسألة من مسائل الميراث المتعلقة بتاجر في المنتصف الأول للقرن (9 هـ/15م)، حيث عهد هذا التاجر قبل موته زمن الوباء بثلث ما يخلفه ميراثا على شرط أن تخرج منه وصايا معينة ، فالثلث يوزع بين الميراث والوصايا ، ومن بين الوصايا تسديد دين قدر بـ 150دينار ذهبا كانت بيده أمانة أمره صاحبها بالتصدق بها على الفقراء والمساكين، إذن لم تكن المائة وخمسون دينار إلا جزءًا من ثلث وواحدة من الوصايا رغم ذلك فهي مقدار هام[2].

– **العامة** : وهم فاقدوا الجاه، وكذلك وصفوا بعدة أوصاف مثل السفلة، الأغمار الغوغاء الدهماء...الخ.

لقد سلطت هذه العبارات على «العامة» من قبل الخاصة، وهي ناتجة عن شعورهم بالتفوق المطلق وهي دلالة واضحة على الفاصل الكبير بين مجتمعين، وبل صعوبة واستحالة مد جسور الترابط البنيوي بينهما كالمصاهرة أو أي نوع من الإرتباط المادي المتكافئ بينما قد نشأ ارتباط مادي غير متكافئ مبني على استغلال العمل.

كما أعتبر أصحاب الحرف الخسيسة من العامة مع أنها مهن مربحة مثل : الصرافة التراسة والنخاسة، وهي لاشك موجودة في بجاية:

1 – المرجع السابق، ص240.

2 - أبو العباس، أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والمغرب ،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981م، ج6، ص06.

فالصرافة: كانت مرتبطة بالحياة التجارية والمعاملات، وبجاية كانت دار ضرب وميناء **نشط. التراسة**: من المهن التي كانت توفر الأتراس للجنود والحراس، وبجاية بوصفها عاصمة ولاية كانت مدعمة بجيش قار، وبوصفها أيضا ميناء نشيط للقرصنة.

وكانت النخاسة: نشيطة لأن بجاية كانت سوقا كبير للعبيد وأسرى القرصنة.

وشمل الفقر بعض الفئات الدنيا لينزل بها إلى أسفل هرم العامة الأحرار، وهم إما أجراء أو يمارسون مهن بائسة أو عاطلون عن العمل.

ومن المهن البائسة التي جمعت بين الرذالة كما رآها المجتمع آن ذاك والفقر الحطابون الذين يؤذون الناس ويمزقون الثياب والذين يجب تأديبهم إن مشوا في الأسواق والزبالون الذين يكنسون تحت الخيل، والسقاء الذي يبيع الماء بأزقة المدينة، والحجامون الذين اعتبر كسبهم مكروه[1]، وكذلك أصحاب الممارسات الغير أخلاقة مثل: القمار والفجور، وكذلك الغير قادرين عن العمل بسب عاهات مختلفة.

- **العبيد**: لقد كان في بجاية سوق لعبيد سواء السود الذين يجلبون من بلاد السودان أو البيض الذين يأسرون من خلال ممارسة عملية القرصنة، إن قضية العبودية في المجتمع الإسلامي هي وضعية انعدام الأهلية، أي وضعية«الإنسان الناقص فهي لم تكن وضعية انعدام صفة الإنسانية ».ولقد ذهب بعض الفقهاء حتى إلى عدم مطالتبه بتأدية كامل الفروض الإسلامية نظرًا لنقصه، فالعبد المسلم لا تجوز شهادتة وإذا وضع في الميزان أمام الحر، فإن الحر لا يقتل إذا قتل عبدًا عمدًا أو دون عمد، وواقعيا، لم يتشدد المالك نحو العبد بل عوامل غالبا معاملة إنسانية، وقد يعتقه عندما يريد أن يكفر عن ذنب أو جناية أرتكبها، ولكن يبقى هدا منوطا بالسيد نفسه.

وقد تتوفر لعديد الجواري فرصة الارتقاء إلى حالة أفضل عن طريق الزواج من المالك الذي كان منتشرًا في المجتمع الحفصي وتسمي الزوجة آن ذاك أم ولد،[2] ولنا مثال في بجاية، فقد كان لأحد رؤوس المتصوفين أبي الحسن الحرالي جارية كانت« تسمي كريمة وكانت سيئة الخلق فاشتدت عنه في الطلب و أن الأصاغر لا شيء لهم فقال لها

1 – صالح بعزيق، المرجع السابق، ص443.
2 – نفسه، ص450.

الآن يأتي من قبل الوكيل ما ينتفعون به فبينما هم كذلك وإذا الحمال يضرب الباب بشكارة قمح فقال لها: يا كريمة ما أعجلك؟ هذا الوكيل بعث بالقمح، فقالت وما يصنع بالقمح؟ ومتى يصنع؟ فأمر به فتصدق به وقال لها: يأتيك ما هو أحسن منه، فانتظرت يسيرًا وبدالها في صدقته وتكلمت بما لا يليق من القول، فبينما هم كذلك وإذا بحمال بشكارة سميد، فقال لها هدا السميد أيسر وأسهل من القمح، فلم يقنعها ذلك ولا رضيت وتكلمت بمثل ما سبق من كلامها، فأمر أيضا بصدقته، ولم تصدق به زادت في المقال فبينما هم كذلك وإذا برجل على رأسه كامل، فقال لها يا كريمة قد كفيت مؤنه هذا الوكيل قد علم بحالك فأغناك من أعمالك»[1]، لكن من الناحية الشرعية النظرية لا يتغير وضع الأمة التي تصبح أم ولد، إذ اعتبرت دائما ناقصة ، فقد قال الماوردي ،« وأما العبد ومن جرى عليه حكم الرق من المدبر والمكاتب وأم الولد فحدهم في الزنا خمسون جلدة ...»[2]، يفسر عدم التشدد المفرط مع العبيد قبل كل شيء تفسيرًا اقتصاديا، فهم لم يكونوا يدًا عاملة ضرورية لابد من تسخيرها تسخير كامل لإعطاء أقصى ما يمكن أن تعطيه، ولم يكونوا قطعانا مسخرة للإنتاج، بل خلق استعمالهم المنزلي في كثير من الأحيان، حد أدنى من العلاقات الإنسانية قد يقضي إلى الزواج في بعض الحالات مثلما ذكرنا، وفي صورة العتق تستمر علاقات الولاء قد يضاف إلى هذا التفسير الاقتصادي، التفسير الديني فصورة « بلال» مؤذن المسلمين الأول وهو الذي عتقه أبو بكر الصديق، وتشجيع الإسلام على عتق العبد، ومجموعة من القيم الداعية إلى تفضيل من هو أكثر تقوى كلها عوامل،[3] قد تكون ساهمت في تلطيف معاملة الأسياد لعبيدهم.

لقد نشأت في بجاية مثلما كان الأمر في تونس أيضًا فئة تسمي العلوج أوالأعلاج أوعلج، هم قدماء الرقيق أو المماليك النصارى الذين اعتنقوا الإسلام ، حيث أصبحوا يتمتعون بمكانة مميزة عند اسيادهم، وصاروا يلعبون أدوار هامة .

1 – الغبريني، المصدر السابق، ص72.
2 – الماوردي، المصدر السابق، ص291.
3 - صالح بعزيق، المرجع السابق، ص445.

فلقد شارك العلوج في بجاية إلى جانب صنهاجة والعامة في الثورة ضد المرينين في سنة (753 هـ/1353م) قادها " فارج " الذي كان سابقا حاجبا للأمير أبي عبد الله محمد والي بجاية، الذي استلم بسهولة للمرينين عندما احتلوها سنة (748هـ/1347م)[1].

2 - الحياة الثقافية و الفنية :

لقد عمل الحفصيون على إزدهار الحركة العلمية والثقافية في مملكتهم الفنية التي تحولت قبلة للعلماء يأتونها عن كل حذب وصوب، واشتهرت في عهدهم العديد من المراكز الثقافية، التي عرفت نشاطًا متزايدًا، منها القيروان وبجاية.

كما فتح الحكام الحفصيون أبواب الهجرة الواسعة أمام العلماء والأدباء على بني حفص الذين شغفوا بطلب العلم وتحصيل المعارف، وقد مدح الكثير من الشعراء الخلفاء الحفصين بالعلم والأدب وأطنبوا في ذلك كثيرًا، و منهم ابن الآبار القضاعي و الذي سنتطرق إليه عند الحديث عن الفقهاء، حيث قال وهو يمدح أبا زكرياء:

تفجر العلم من علياء شمائلة *** كما يسحُ بوسط الروض[2] سلسال[3]

أ – العلوم:

- العلوم النقلية:

*** الفقه:**

اختلفت طرق التدريس ببجاية باختلاف الشيوخ الذين كانوا يقرأ عليهم، فمنهم من كان يعتمد الطريقة التقليدية، ومنهم من كانت طريقته تعتمد على الحوار والمناقشة والتعمق في البحث والتعليل،كأبي عبد الله محمد بن الحسن بن علي القلعي (ت673 هـ/1274م) حيث كان له درس يحضره من الطلبة فضلاؤهم ، ونبهاؤهم وتجري فيه المذاكرات المختلفة في التفسير والحديث[4].

ومن الذين اشتهرت طرقهم كذلك في التدريس المشدالي محمد بن أبي القاسم بن محمد عبد الصمد، أخذ العلم عن أبيه، وقد كان إمامًا كبيرًا مقدما على أهل عصره في

---

1 – المرجع السابق، ص451.

2 - حميد طريقة،ابن الأبّار القضاعي ومدائحه في البلاط الحفصي،رسالة ماجستير جامعة ياتنة، 2010، ص143.

3 – **السلسال**: هو ماء عذب صافي، جبران مسعود المرجع السابق، ص496.

4 - أبو العباس الغيريني: المصدر السابق، ص29.

الفقه وغيره، كما كان خطيبا بالجامع الأعظم ببجاية، وتصدر فيه وفي غيره للتدريس فكان يضرب به المثل فيقال: « أتريد أن تكون مثل أبي عبد الله المشدالي[1]؟»

أما عن طريقته في التدريس فقد تميزت باستعمال أسلوب الحوار والمناقشة والتعمق في البحث والتعليل، وأصول الفقه، واستغلال الجدل في البحث والمناظرات.

وقد ساعد في انتشار طريقته ببجاية تنشيط الأبحاث الفقهية النظرية، والدراسات العقلية،والذين تأثروا بطريقته أصبحوا يميلون إلى الاجتهاد في الفروع وتخريج المسائل[2].

ومن الكتب المعتمدة في تدريس الفقه كتاب المسند الكبير للإمام أحمد بن حنبل (ت 242 هـ/856م)، وكتاب الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت 204 هـ/819م) و كتب المالكية كموطأ الإمام مالك وغيرها[3].

و نذكر من ابرز علماء الفقه ببجاية الحفصية:

* أحمد بن إدريس البجائي: وهو الإمام الصالح المحقق كبير علماء بجاية في وقته حيث كان ورعا زاهدًا، وإمامًا بارعًا، أخذ عنه أبوزيد عبد الرحمن الوغليسي والإمام محمد بن بلقاسم المشدالي وغيرهم[4].
* أبو عبد الله محمد بن محمد بن غريون الأنصاري البجائي (ت731هـ/ 1331م) كان عالم بجاية وخطيبها ومفتيها[5].
* ومن العلماء كذلك أبو العباس أحمد بن الغماز الأنصاري: ولد ببلنسية سنة (609 هـ/ 1212م)،كان فقيها قاضيًا، رحل على بجاية واستوطنها فلقي المشايخ بها وتخطط بها العدالة، كما ولي القضاء بها، وإقامة صلاة الفريضة بجامعها الأعظم و جلس في آخر أيامه للرواية والتصحيح، توفي بتونس(693 هـ/ 1294م)[6].

---

1 - بدار الدين القراني، توشيح الديباج وحلية الابتهاج،تح: أحمد الشتوي،دار الغرب الإسلامي، بيرون ط1، 1983م، ص256.
2 - مختار حساني: المرجع نفسه، ص217 .
3 - أبو العباس الغيريني: المصدر السابق، ص29 .
4 - أحمد بابا التمبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، كليه الدعوة الإسلامية، طرابلس ط1، (ب ت ن) ،ج1، ص99.
5 - ابن فنقد، شرق الطالب في أسنى المطالب، تح: عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد، 2003م،ط1 الرياض،ص21.
6 - محمد الظهار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، سلسلة الدراسات الكبرى، ديوان المطبوعات الجامعة الجزائر،2007م، ص179 .

* عبد العزيز بن مخلوق القيسي: الشيخ الفقيه القاضي العالم، المتقن المتحدث أبو محمد ويكنى بأبي فارس، ولد سنة 602هـ/1206م، عرف بكونه فصيح العبارة حسن الإشارة درس عليه العلم خلق كثير وانتفعوا به، أسند إليه قضاء الأنكحة ببجاية عن بعض قضاتها، وولي القضاء مستقلا بعد ذلك، ولقي ببجاية جماعة من الفضلاء كالشيخ أبي الحسن الحرالي وأبي العباس الملتاني، وقد توفي الشيخ عبد العزيز القيسي (684هـ /1285 م)[1]، وقد ذكر أن بجاية لوحدها كان بها 99 مفتيا أو أخر القرنين (6 هـ/12م).

* **علم الحديث** :

بالنسبة لعلم الحديث كان يدرس في خمس أو ست دواوين معروفة يعتبر أفضلها صحيح مسلم، وصحيح البخاري، كما هو الشأن في جميع العصور[2]، إضافة إلى كتاب «الموطأ» للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس (ت 179 هـ/795 م)، وكذا جامع الترمذي لأبي عيسى الترمذي (279ه/892م) وسنن أبو داود لأبي داود السجستابي (ت 275 هـ/888م) وغيرهم.[3]

ومن أبرز علماء الحديث في بجاية الحفصية :

* أبو إسحاق إبراهيم الحاج أحمد بن عبد الرحمان الأنصاري الغرناطي: كان من أهل المعرفة والتفنن في العلوم والنفوذ والأحكام ، يتحقق بالقراءات ، ويشارك كذلك في علم الحديث[4].
* وهنالك أيضا من أصحاب الحديث العالمين المشهورين الحافظ أحمد بن سيدَ الناس اليعمري أصيل إشبيلية، والمؤرخ أحمد بن محمد القرشي أصيل غرناطة ، وكلاهما كانا قد زاولا دراستهما في المشرق ، ودرسا في بجاية.

1 - بدر الدين القرافي، المصدر السابق، ص157 .
2 - روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص382 .
3 – الغيريني، المصدر السابق، ص 26.
4 - محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور التركية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1،(د ت ن) ص124.

* **الأدب**:

كانت معرفة النحو تعتبر منذ عهد بعيد ضرورية لفهم الكتاب والسنة فهمًا صحيحاً ولصيانة اللغة العربية التي تتشرف بكونها لغة القرآن.

ولم تكن برامج التعليم تخلو تمامًا من علوم البلاغة والعروض والأدب،[1] ومن بين الكتب التي عنيت بالتدريس كتاب سبويه، وكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي ومقصورة ابن دريد(ت 312 هـ/924 م)، والعقد الفريد لابن عبد ربه،[2]ومن الذين اهتموا بالأدب:

* **ابن دحيه**: وهو عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن دحيه الكلبي، الشيخ الفقيه المحدث، الحافظ، المتقد النحوي اللغوي، من كبار المحدثين والحفاظ الثقات،كان من أحفظ أهل زمانه في اللغة حتى صار حشي اللغة عنده مستعملا غالبا[3] .

* **ابن الأبّار**: وهو ابن عبد الله محمد بن الآبار، ولد في بلنسية التي أنجت كثيرًا من العلماء والشعراء سنة 595 هـ/1198م، وقد كان والده من علماء بلنسية و قد اهتم به وكان يصحبه معه إلى مجالس العلم، و يستجيز له الأعلام وهو بعد لم يتجاوز مرحلة الطفولة والصبا.

كانت حياة ابن الآبّار العلمية حافلة وجليلة ولذلك لا يأخذنا العجب إن رأيناه يأخذ عن أكثر من مائتي شيخ خلال حياته، وقد غادر ابن الآبار بأسرته الأندلس بنية الهجرة والإقامة في ظل الحفصين، فاتجه أولا إلى بجاية في أو آخر 637 هـ/ 1240م، حيث يذكر الغبريني أنه درس بها وأقرأ و روى، وسمع وصنف وألف، ثم استدعاه المستنصر الحفصي ليكتب له ، وقد قضى ببجاية ثلاثة أو أربعة أشهر ،حيث اتجه من بجاية إلى تونس بعد أن أنهى كتابية " التكملة " و" الحلة"[4].

* **ابن أحمد الأنصاري**: وهو محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري أبو عبد الله بن الجنان،من أهل مرسية، كان محدثا، كاتبا، بليغا و شاعرًا، بارعًا، رائق الخط فاستكتبه

1 - روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص301 .
2 – الغيريني، المصدر السابق، ص27.
3 - بدر الدين القوافي، المصدر السابق، ص157 .
4 - إبن الآبّار، المصدر السابق، ج1، ض44 .

بعض أمراء الأندلس، ثم انتقل إلى إفريقية واستقر ببجاية وكانت بينه وبين كتاب عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته[1]

* أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي : وهو الفقيه والأستاد النحوي اللغوي، نشأ بجزائر بني مزغنة وقرأبها، ثم إنتقل إلى بجاية مستوطنا وبها قرأ وبرع ولقي مشايخا، منهم الشيخ أبو الحسن الحرالي والفقيه أبو الحسن بن أبي نصر وغيرهم.

وكان في علم العربية بارعا مقدماً ، محكما لفنونها الثلاثة النحور واللغة والأدب وكان له درس يحضره من الطلبة فضلاؤهم ،وقد كانت تقرأ عليه جميع الكتب النحوية والغوية والأدبية، ويقوم على جميعها أحسن قيام، وله كتاب أسماه «الموضح في علوم النحو»،وله «حدق العيون في تنقيح القانون» وغيرهم .

وكان فيه فضل وسخاء وكانت يده ويد الطلبة في كتبه سواء ،لا مزية له عليهم ويتجلى ذلك في قوله :

كتبي لأهل العلم مبذولة *** يدي مثل أيديهم فيها

أعارني أشياخًا كتبهم *** وسنة الأشياخ نمضيها

وقد توفي ببجاية عام 673 هـ/ 1274م[2].

* كما كان للنساء حظ في الأدب ومن بينهم عائشة بنت عمارة، والتي تعطي صورة لما كانت عليه النساء من مشاركة الرجال في العلوم والأدب، إذ كانت عائشة أديبة مشهورة بالنسخ لحسن خطها ، وقد كانت تجالس الأدباء[3]

*** علم التصوف:**

وهو أحد العلوم الشرعية الحادثة في الملة، و يقصد به طريقة الحق والهداية ،وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها

1 – احمد بن محمد المقري التلمساني ، نفح الطيب من غض الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح : لإحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1988م، ج7، ص416 .

2 – الغيريني، المصدر السابق، ص ص 34 – 36 .

3 - رشيد مصطفاوي، بجاية في العهد الحمادي، الأصالة،ع1، 1971، ص80.

وقد اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة، ويرجح أن أصل التسمية يعود إلى اختصامهم بلبس الصوف مخالفة للناس في لبسهم فاخرا الثياب[1].

وقد انتشرت الحركة الصوفية خلال القرن السابع هجري والثالث عشر ميلادي وبداية القرن الثامن هجري والرابع عشر ميلادي في كل أنحاء إفريقية بما فيها بجاية ،حيث كان كثير من متصوفيها متضلعون في الفقه ، ومنهم من كانوا يشتغلون بالعدالة والتدريس، كما كان بعضهم من الشعراء الصوفيين البارزين[2].

ونجد من بين المتصوفة أبو زكريا يحي بن أبي علي المشتهر بالزواوي ، ولد في بني عيسى من قبائل الزواوة ، ارتحل إلى المشرق، ولقي المشايخ بها من الفقهاء والمتصوفة، واستوطن بجاية بعد رجوعه من المشرق، وجلس بها لنشر العلم[3]، وقد كان عبدا صالحا زاهدا ورعا توفي سنة611ه/1214م[4]، ومن أبرز كتب المتصوفة رسالة فضل مكة لأبي سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري (ت 110هـ/722م[5]).

*** علم التاريخ والجغرافيا:**

بالنسبة لعلم التاريخ والجغرافيا فلم يحظ بعناية البجائيين كالعناية التي أولوها للعلوم الأخرى، لأن الاهتمام كان منصبا على علوم العربية والإسلام باعتبارها الأساس الذي يقوم عليه الدين، ولكن بالرغم من ذلك ،نجد من البجائيين من اهتم بعلم التاريخ،[6] مثل عيسى إبن مسعود المنكلاتي الزواوي (664 – 743هـ/ 1266-1342م)، حيث وضع كتابًا كبيرًا يحتوي على نحو العشرين مجلد،حيث قال في شانه ابن فرحون: ذكر فيه من أول بدء الدنيا وقصص الأنبياء، وأخبار الأمم من آدم إلى زمانه[7].

1 – إبن خلدون: المصدر السابق، ص381.
2 – روبار برنشفيك : المرجع السابق، ص345 - 346 .
3 – الغبريني: المصدر السابق، ص61 - 62.
4 – أبو يعقوب يوسف بن يحي التادبي إبن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف ،تح: أحمد توفيق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،1997، ط2، ص428.
5 – الغبريني : المصدر السابق، ص207 .
6 – وزارة المجاهدين، الحواضر والمركز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسط ، المركز الوطني للدراسات والحركة الوطنية، الجزائر،2007م ، ص134 .
7 – عبد الرحمن الجيلاني : تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الجزائر، 2009 ،ج2،ص124 .

وبالنسبة لعلم الجغرافيا فيمكننا التطرق إلى العبدري البلنسي، والذي عاش في ق7 هـ/13م حيث تحدث عن بجاية في قوله :«ثم وصلتا إلى مدينة بجاية الإتقان والنهاية كبيرة حصينة، منيعة.... موضوعة في أسفل جبل»[1].

ب - العلوم العقلية:

*** الطب:**

بالنسبة للطب وصناعة التطبيب فإنها- كانت يقول الغبريني- أشد الصنائع ضياعًا في بلادنا، ولكنه ذكر من كتب الطب المتداولة بينهم يومئذ، كتاب القانون لابن سينا وأرجوزته المشهورة في الطب.

وكان ممن برع واشتهر أمره في هذه الصناعة يومئذ، الطيب إبن أندارس[2] وهو محمد بن محمد الأموي المعروف بإبن أندارس أبو القاسم أبو يعقوب المرسي الأندلسي (ت674 هـ/1275م)، كان متقدما في علم الطب، ومن عادته إذا سئل عن مسألة من الطب لا يجب إلا بعد إمعان النظر على طريقة الحذاق وأرباب الدين.

بارح بلده مرسية، ومر بالمغرب الأقصى، فأقام بطنجة، ثم أقام ببجاية في حدود (سنة 660هـ/1262م)، ودرس بها أرجوزة إبن سينا في الطب، وقانون أبي موسى الجزولي في النحو، وممن قرأ عليه ببجاية أبو العباس أحمد الغبريني صاحب عنوان الدراية وأبو بكر بن الفلاس الفقيه الطبيب. وفي مدة إقامته تولى تطبيب الولاة مع بعض خواص الأطباء[3].

* ومن الأطباء الذين قصدوا بجاية أيضًا في تلك الفترة أبو العباس أحمد بن خالد، من أهل مالقة، قرأ على شيوخ بلده الفقه والعربية والطب والحكمة، و ورد على بجاية وجلس للإقراء بها، وقد قرأ عليه الغبريني في بدء أمره علم المنطق، وقرأ عليه بعض أصحابه الإشارات والتنبيهات لابن سينا»[4].

---

1 - العبدري: المصدر السابق، ص23.

2 – عبد الرحمن الجيلاني: المرجع السابق، ج2، ص124.

3 – محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 ،1984 ،ج3 ،ص63.

4 – محمد الطمار: المرجع السابق، ص205.

*** الرياضيات:**

وبالحديث عن الرياضيات فقد ذكر الغبريني أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي، من قلعة بني حماد، كان له علم بالحساب سبق فيه الأوائل، ولـــم يكـــن ببجاية أحد في وقته يريد قراءة هذا العلم إلا قرأه عليه، وكان يقصد من البلاد لقراءة هذا العلم عليه، توفي سنة 660 هـــ/1262م[1].

*** علم الفلك:**

علم الفلك أو علم الهيئة يعرفه ابن خلدون فيقول: " هو علم ينظر في حركة الكواكب الثابتة، والمتحركة، والمتحيزة ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضـــاع للأفـــلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية"[2].

وبالنسبة لعلم الفلك في بجاية على العهد الحفصي فلم يحض بالعنايـــة مـــن طـــرف البجائيين إذا استثنينا بعضهم كمحمد أبو الفضل المشدالي (ت 865 هـــ/1463م) الفلكـــي الفرضي ،حيث ألف على الخصوص في علم الاسطرلاب[3].

2 - البناء العمران:

لقد وصف العبدري مدنية بجاية في قوله« وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة بريـــة بحرية، سنية سرية، وثيقة البنيان عجيبة الإتقان رفيعة المباني»[4]، وقـــد وصـــفها حـــسن الوزان « بجاية مدينة عتيقة بناها الرومان في منحدر جبل شاهق علـــى ســـاحل البحـــر المتوسط تحيط بها أسوار عالية متينة ، وتناهز كوانينها ثمانية آلاف، أقصد فـــي القـــسم المسكون منها، إذ لو امتلأت دورًا لفاق عدد كوانينها أربعة وعشرين ألفا وتمتد عرضًـــا على خاصرة الجبل في مسافة لا يمكن تصورها، ودورها كلها جميلة

1 – الغيريني، المصدر السابق، ص123.
2 - إسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص247.
3 - محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، الشركة الوطنية للنشر الجزائر، 1982م.ص92.
4 – العبدري، المصدر السابق، ص23.

وفيها جوامع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم ،بالإضافية إلى زوايا المتصوفة وحمامات وفنادق ،مارشانات »[1]، وكلها صروح مشيدة حسنة البناء[2].

أما فيما يتعلق بالقصور السبعة عشر التي كانت ببجاية، فلقد قام الناصر بن علناس لما رأى الأميرة بلارة وعلو همتها وكرم شملها أحبها حباً شديدًا، فابتني لها بقلعة بني حماد وبجاية قصورًا شامخة، وأحاطها بالحدائق الأنيقة فيها المروج والريحان، ومن كل فاكهة زوجان ومن تحتها الأنهار الدافقة والأزهار الشارقة وجلب إليها كل ما تشته الأنفس، وتلذ الأعين إكرامًا واحتفاء بزوجته، ويأتي في مقدمة هذه القصور التي شيدها،[3] قصر اللؤلؤة ويشبه حفنة من اللؤلؤ في أصدافها وليس من الصدفة أنها بقيت تحمل لقب لؤلؤة المغرب[4] و لعله لا يختلف عن دار البحر بالقلعة وكذلك قصر ميمون، وقصر .الكوكب الذي يعتبر من أجمل قصور بجاية[5]، ومن الذين تناولوا هذه القصور صاحب الاستبصار« فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة لم ير الراءون أحسن من بناء ولا أنزه موضعاً، فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شابيك الحديد والأبواب المخزمة المحنية، والمجالس المقرصة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها، قد نقشت أحسن نقش وأنرلت بالذهب واللازورد، وقد كتبت فيها الكتابات المحسنة، وصورت فيها الصور الحسنة»[6].

* **الأبـــواب**:

- **باب اللوز**: وهو المنفذ لقصبة المدينة، وهو الذي جعل ابن غانية[7] يتخذه للدخول إلى قصبة مدينة بجاية.
- **باب ايلان**: هو من الأبواب الداخلية للمدينة

1 - وتعني المستشفيات، إسماعيل السامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعة الجزائر 2007م، ص209.
2 – حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص50.
3 – مختار حساني، نفس المرجع، ص189.
4 – وزارة الأخبار و بجاية سلسلة الفن والثقافة، مطبعة ألتا مترا، اسبانيا، 1980م، ص56.
5 – مختار حساني: المرجع السابق، ص189.
6 – المراكشي: المصدر السابق، ص130.
7 – إرجع: الصفحة رقم:07.

- **باب الدباغين**: لعل تسميته بدلك ترجع بالدرجة الأولى إلى وجود ورشات لدبغ الجلود محادية له.
- **باب البحر**: لا يزل لحد الآن ماثلا للعيان[1].
- **باب المرسى**: سمي بذلك لأنه يؤدي إلى مرسى بجاية.
- **الباب الجديد**: يتجلى من الاسم أن ذلك باب شيد ربما في عهد الدولة الحفصية أو عهد الموحدين، ولم يكن من الأبواب القديمة، التي عرفتها المدينة خلال عهد الحماديين.
- **باب أميسون**: يوجد في سفح جبل أميسون شمال المدينة، ونسب لهذا الجبل ربما لأنه يؤدي إلى مرتفعه.
- **باب تاطنت**: ورد ذكر هذا الباب عند التعرض لعبد المؤمن بن علي حيث مر، في طريقة راجعًا من إفريقية إلى بجاية فدخل البلد بناحية باب من أبوابها يدعي باب تاطنت[2].
- **باب البنود**: لا يزال هذا الباب لحد الآن معروف لدى أهل بجاية، حيث كانت القوافل القادمة لبجاية تدخل عليه، ولعله كان يحتوي على مجموعة من الغرف بها الموظفين المكلفون بجبي الضرائب من التجار الدين يدخلون المدينة أو يبارحونها[3].
- **الأحياء**: تنقسم المدينة إلى مجموعة من الأحياء مثلما هو الحال بالنسبة لمدن الإسلامية ونذكر منها :
- **حومة باب البحر**: عرفت بدلك لأنها مجاورة للبحر المتوسط وهي قريبة من باب البحر الذي سبق ذكره.
- **حومة مسقنرة** : تقع هذه الحومة بالقرب من باب البنود.
- **حومة رابطة المتمني**: تقع هذه الحومة بخارج المدينة، أي خلف الأسوار.
- **حومة المقدسي**: لا نعرف موقع هذه الحومة بمدينة بجاية.
- **حومة اللؤلؤة**: ولعلها سميت بذلك لقربها من قصر اللؤلؤة الذي شيد من قبل الناصر بن علناس[4].

---

1 – أنظر: الملحق رقم:20.
2 - مختار حساني: المرجع السابق، ص190.
3 – أنظر: الملحق رقم:19.
4 – مختار حساني،نفس المرجع، ص190 .

المساجد: ونذكر منها ما يلي:

* **الجامع الأعظم**: كان طول هذا المسجد 110م، وعرضه 75م، وله واجهة مزينة بـ 17عقدا، وباب كبير على يمينه، وعلى يساره لوح[1]، رخامية مزينة بكتابات رائعة الشكل وكان له اثنان وثلاثون سارية من الرخام الجيد، وكان المسجد كله مبلطاً بالمرمر وكان له اثنان وعشرون بابا منها يدخل منه النساء لأداء صلاتهن تحت حراسة شيخ طاعن في السن[2]، وقبة عظيمة، كانت أرضيته مفرشة بالرخام وعلى جدرانه كتابات قرآنية، أما المئذنة فقد بلغ ارتفاعها 30م وضلع قاعدتها المربعة10م.

* **مسجد قصر اللؤلؤة**: لقد أتم الأمير الحمادي المنصور بناء قصر اللؤلؤة سنة (494هـ/1100م)، لكنه حوله إلى مسجد، ووضع الحجر الأساسي لمحرابه وزينه بعمودين من الرخام الأحمر لم ير مثلها، وجد في ردم الكنيسة، لما سمع صاحب روما بذلك أراد أن يشتريه منه لكنه لم يقبل، ثم قام ببناء محراب بينهما، كما شيد جبا في صحن المسجد ممتدًا على طول 7,5م ومئذنة قرب البستان بلغ ارتفاعها 35م، وعرضها 12,5م[3]، وكان بها بابان أحدهما من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب، مصنوعان من الرخام المنقوش[3] إضافة إلى العمودين الأحمرين اشترى المنصور عمودا أخضرًا بمبلغ كبير، وضعه فيه كما كان المحراب وما يحيط به من الرخام الأبيض في وسطه عصابة مستديرة، نقشت عليها آيات من القرآن الكريم، وكانت جدرانه وأعمدته مزينة بالنقوش والصور الرائعة. قسم المسجد إلى طابقين لاستيعاب عدد كبير من المصلين تعلوه[4]، قبة كبيرة تقوم على 32 عمودًا من بين 412 عمودا رخامي، يبلغ طول العمود 111م وعرضه 75م، قسمت فيه بيت الصلاة إلى 14 رواقا، وكان له 12 بابا وقاعة خاصة بالنساء موجودة شرقي المسجد، مفصولة عنه بجدار متقن البناء، فيها 200 عمود وقبة كبيرة موضوعة وسط قباب صغيرة، وعيون صغيرة تسيل من الجدران، ووجود هذه

1 - رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، وزارة الثقافة، الجزائر،2007م، ص208.
2 - رشيد مصطفاوي: مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد الأول، 1971م، ص81.
3 - عبد العزيز لعرج، مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، المركز الوطني للدراسات، الجزائر،2007م، ص215.
4 - نفسه، ص215.

القاعدة يدل على مكانة المرأة في حاضرة بجاية، ومدى تعلقها بأمور الأساتذة الذين يدرسون في المسجد وبجانبها غرف لإقامة الأئمة والمدرسين فيه[1].

* **مسجد الريحانة**: سمي أيضًا بمسجد الإمام المهدي بن تومرت (ت 524هـ/1129م) لأنه عند وصوله إلى بجاية سنة 511 هـ/1117م خلال عهد الحاكم الحمادي العزيز بالله بن المنصور(ت 518هـ/1123م) عند عودته من المشرق نزل به، واتخذ منه مدرسة وكان يحضر إليه زيادة على محبي العلم والطلبة والمتعلمين جماعة من الفقهاء[2].

* **الأضرحة** : كانت من أهم ما شيده الحماديون في مجال العمارة الدينية كان أهمها :

* **ضريح سيدي التواتي**[3]: يمثل جزء من المدرسة التي وجدت في العهد الحمادي في القرن5 هـ/11م، فهو يقع بجانب جبل" قوراية" إذ يتخذ شكلا مربعًا تقدر أبعاده بـ 3,5م، ويتوسط سطحه من الخارج قبة مركزية ملساء، أما من الداخل فالضريح بسيط في عمارته فالمدخل يؤدي إلى غرفة مربعة أبعادها3,31م، ومن يمين المدخل. يوجد تابوت الولي الصالح سيدي تواتي المصنوع من الخشب، إستعملت فيه تقنية الخراط، أما قبته فهي نصف كروية ملساء بسيطة في عمارتها ولا تحتوي على زخارف، أما الحنايا[4] الركنية فهي على هيئة مثلثات مقلوبة الرأس نحو الأسفل[5]، وهذا تحويل لمسقط القبة إلى مربع مثمن[6].

3 - الفنــون:

- **الموسيقى**: لقد تأثر الفن الجزائري بالفن الشرقي،ولكنه أخذ يتفتح عند وصول تيار الفن الأندلسي المغربي، والفضل في وصوله يرجع إلى المرابطين،ثم الموحدين[7] فالمرابطين في بداية الأمر عملوا على القضاء على كل وسائل اللهو، وحرق متاجر الخمر

1 - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص210.
2 - عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص89.
3 - أنظر الملحق رقم: 22.
4 - الحنايا هي ما كان منحنية كالقوس، انظر مسعود جبران، المرجع السابق، ص361.
5 - أنظر الملحق رقم : 16.
6 - لعرج: المرجع السابق، ص209.
7 - محمد الطمار: المرجع السابق، ص239.

متبعين في ذلك التعاليم الدينية التي تدعو إليها،إلا أن هذه الشدة أخذت تخف حدتها بعد ذلك ثم مال المرابطون إلى ألوان الترف، وذلك بعد احتكاكهم بالأندلسيين إطلاعهم على أساليب الحياة في المدن الأندلسية، مما جعلهم يتأثرون بحياة الرفاهية والمتعة التي كان يحياها أبناء الأندلس، وصارت هناك مجالس يحضرها المغنون والشعراء، وأصبحت أدوات اللهو والغناء متوفرة في المدن المغربية مما جعل إبن تومرت ينقم على المرابطين تهاونهم في محاربتها،وأخذ على عاتقه تكسيرها[1].

واقتدى الخليفة عبد المؤمن سياسة المهدي في محاربة وسائل اللهو والغناء ومحاربة المغنين، وأخذ أصحابه بأحكام الدين،يقول النويري:"ولا لهوولاهزل تحت أمره - أي أمر عبد المؤمن بن على - بل تلاوة كتاب الله العزيز ومدارسة الأحاديث الصحيحة النبوية والاشتغال بالعلوم الشرعية وإقامة الصلوات فهذا كان دأب أصحابه"[2]، ولكن هذا التشدد من جانب الخليفة وأصحابه لم يجد استجابة كاملة من الشعب، حيث وجدت أنواع الملاهي المختلفة في المدن المغربية مما دفع الخليفة عبد المؤمن إلى إصدار منشور عام إلى أهل بجاية وغيرهم من سكان المدن المغربية سنة(556هـ/1160م)، يتضمن عدة أوامر منها محاربة أصحاب الملاهي و مصادرة آلاتهم[3].

كما أثرت الموسيقي وبشكل كبير على الحفصين، فانساقت أوضاع الفنون الأندلسية المغربية وأساليبها، واستحودت على الأهواء الأذواق ،فشاعت بين طبقات الشعب أغاني إشبيلية وغرناطة، وكيف لا تتأثر البلاد بالموسيقي الأندلسية وقد ورد عليها موجات من ألاجئين الأندلسيين، و هؤلاء كانوا مولعين بهذا الفن الذي عرف باسم "المالوف"[4].

وعن يبن الأدوات الموسيقية التي استعملت في العهد الحفصي.

- **الطبل**: كان أداة تنبيه يستعمل في الأغراض العسكرية قصد الإنذار بالخطر ففي سنة 780هـ/1379م عند ما تعرض أحد ولاة قفصة لحركة التمرد، أمر بقرع الطبل[5] في القصبة لدعوة سكان القرى المجاورة، كما كان يستخدم في أعراض رسمية أخرى

1 - حسن علي حسن،الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخنانجي، ط1، مصر1980م،ص430.

2 - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب تر:عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، (دس ن)، ج2، ص98.

3 - حسن علي حسن، المرجع السابق، ص431.

4 - محمد الطمار، المرجع السابق، ص245.

5 – الطبل آلة أحادية الوتر مكون من نصف قرع بأبواب مفرغ ومجفف مكسو بجلد الغزال يخترق ثقبان قسمه الأعلى مزين برسوم .

ففي ركب السلطان كان يستعمل الطبل من الحجم الكبير فكان يسمع في نفس الوقت مع صوت البوق المستطيل المصنوع من النحاس، كما كان الطبل يعتبر شعارًا من شعارات السيادة.

ورغم الإحترازات الدينية التي أشرنا إليها أنفًا فإن الميل إلى الموسيقي كان يبعث على وجود عدد من العازفين سواءًا منهم الهواة أو المحترفين، فقد ذكر روبا برنشفيك عن وجود شخص في بجاية كان يعزف على آلة العود[1].

- **الرقص**: حيث كان أحد الفنون التي يستمتع بها المشاهدون ،مثل الرقص النسائي داخل البيوت، والرقصات التي يقوم بها بعض المشعوذين المحترفين، في الهواء الطلق، وكذلك الرقصات المتنوعة المصحوبة ببعض الآلات الموسيقية" كاتمزا"[2] والطبول كبيرة الحجم[3].

ومما يدل على اهتمام أهل بجاية بالفنون والموسيقي وصف حسن الوزان لأهل ببجاية في قوله: « البجائيون أناس طيبون ميالون للمرح والموسيقى والرقص خاصة منهم الأمراء[4]».

- **النقش والزخرفة**: ولقد تطور فن الزخرفة الإسلامية ببلاد المغرب والأندلس في نفس الوقت الذي تطور فيه، مثيله في المشرق منذ أن شرع في بناء أول حاضرة ببلاد المغرب "القيروان" سنة (250هـ/670م) ،حيث ألزم الفنانون بنفس المنهج الإسلامي في الفن وإبداع الجمال[5]، لكن تطور الفن الأندلسي في مجال العمارة أتخذ طابعًا أصيلاً مميزًا، وحدث أثناء فترة الاتصال بالشرق بين القرنين الثاني والتاسع هجري والثامن والخامس عشر ميلادي، أن شيدت هناك بعض الآثار التي تنفرد بجمال لا يضارع وكمال وأصالة لا بحدها بقيت في أي بلد إسلامي آخر[6]، لذلك حاكى سلاطين بنو حفص هذا الفن الأندلسي، واهتموا بهذا المجال وذلك من خلال جلبهم لمهندسين

---

1 - العود آلة للطرب مصنوعة من غشائين من جلد الماعز مشدودة على جهتي إطار خشبي بواسطة مسامير من نحاس ،ويطرب الموسيقيون على وجهتي الآلة، إبراهيم يهلول، المرجع السابق،ص31.

2 - يتكون من أنبوب إسطوني الشكل يبلغ طوله 30 إلى 40سم يضع من خشب ناعم من شجر المشمش والجوز ، تخترقه ثقوب ستة ثقوب في الأعلى وثقبة في الأسفل، وبين طرفي السفلى يتشكل مخروط طوله 10سم، إبراهيم بهاول المرجع السابق، ص23.

3 - روبا بروتشفيك: المرجع السابق، ج2، ص433.

4 - الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص51.

5 - سامعي: مرجع السابق، ص366.

6 - ج،س، كولان،الأندلس،تر: إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980م، ط1، ص151.

من الأندلس من أجل البناء.

كما أجاد الحفصيون النقش على الجبس والخشب، ذلك أن النقش على الجبس مستعمل لتزويق البيوت، وكذلك النقش على الخشب[1] مستعمل في ضع الأثاث.

كما وجد الحفصيون لميولاتهم الفنية مجالاً في الخط الكوفي، الذي أصبح بما دخل عليه من تحسين على يد الكثير من مشاهير الخطاطين فنًا رخرفياً جميلاً قابل للإتسجام الرائع مع النقوش العربية[2].

ورغم ذلك إلاّ أن الفن المعماري الحفصي لم يكن له وحدة عميقة ولا شخصية مميزة فقد كان يفتقر إلى روعة المعالم الأغلية وإلى أبهة الإنجازات المعاصرة له في المغرب الأقصى والأندلس، وفضلا عن ذلك فإنه لم يهتم بإقامة المشاريع الضخمة، بإستثناء القصور السلطانية التي لم يبق منها أي أثر تقريباتي الوقت الحاضر، فقد إقتصرت جهود الحقصيين على ترميم بعض الأبواب والأسوار، بصورة مقتضية في أغلب الأحيان وإقامة بعض المساجد الثانوية والبسيطة والمدارس أو الزوايا المتواضعة الخالية من الزخرف[3].

1 - أنظر الملحق رقم:23.
2 - الحضارة العربية الإسلامية، فغري خليل التحاد، دار الصفاء،عمان، 2010م، ط1، ص63.
3 - روبار بروتشفيك: المرجع السابق، ج2، ص436- 437.

الخاتمة

الخاتمة

نستخلص من خلال دراستنا لهذا الموضوع أن بجاية قد مثلت القلب النابض بعد تونس العاصمة للدولة الحفصية حيث ساهمت بشكل كبير في رقيها وإزدهارها.

لقد كانت بجاية واحدة من أمهات المدن المغربية التي تمتعت بأهمية سياسية في العهد الحفصي.

نظرا لكونها كانت تابعة للدولة الحفصية، فمن الطبيعي أن يكون نظام الحكم فيها نفسه المتبع في الدولة لأنها تمثل إحدى ولاياتها.

بالرغم من أن بجاية كانت تابعة للدولة الحفصية إلا أن ذلك لم يمنع في عديد المرات انفصالها عنها رغبة لولاتها في الاستقلال تارة أو التوسع على حسابها من طرف الدول المجاورة تارة أخرى .

اتسمت علاقتها بالدول الأوربية بالصداقة أحيانا والعداوة أحيانا أخرى، وإرتبط ذلك بعقد معاهدات في كلا الحالتين و بهذا أصبحت بجاية مركزا أساسيا و مهما في العلاقات الأوربية الديبلوماسية.

وبالنسبة للمجال الاقتصادي فقد كان مزدهرا حيث تنوع الإنتاج الفلاحي وذلك للمناخ المتوسطي الذي تمتعت به المدينة حيث ساهم ذلك في تنشيط الفلاحة، التي تتركب أساسا من منتوجات تصديرية موجه نحو الدول الأروبية خاصة.

كما كان للنشاط الحرفي كذلك تواجد بين البجائين من صناعة للسفن بكل أنواعها سواء الحربية أو التجارية، والنسيج وكذلك الفخار والخزف وصناعة الشمع التي انتشرت بشكل كبير في بجاية وتميز سكانها بصناعته و إمتلأت بهذه السلع الأسواق مما أدى إلى إزدهار التجارة و صارت بذلك بجاية مركزا وميناء أساسي للتصدير و الإستراد.

و لقد نشطت التجارة داخليا وخارجيا، فقد كانت تحدث المبادلات التجارية بين بجاية وغيرها من الدول مثل الدولة الزيانية، الدول الأوربية، والسودان الغربي وحتى مدن الدولة الحفصية.

الخاتمة

أما فيما يخص المجتمع البجائي فقد تنوعت عناصر سكانه من المحليين والوافدين وتعددت طبقاته كما تغيرت بالهجرة الأندلسية تركيبة القاعدة البشرية في بجاية،وأصبح الأندلسيون يمثلون أحد مكوناتها الأساسية.

عرفت بجاية حركة علمية واسعة فجمعت بين الكثير من العلماء و الفقهاء، و لكنها بالرغم من ذلك لم تحض بعلماء فطاحل على نسق ابن خلدون أو القاضي عياض وغيرهم من أعلام الأعلام كما شجع الحفصيون هجرة الأندلسيين إليهم في سبيل العلم.

لم يكن للعمران حضور بشكل كبير في العهد الحفصي، كما كان في العهود السابقة، وخاصة العهد الحمادي الذي شهد تطور كبير في هذا المجال، وإقتصرت جهود الحفصين في الترميم أوفي بناء بعض المراكز العلمية التي افتقرت إلي فن الزخرفة ذو الصبغ الحفصي البحت وليس محاكات البلدان الأخرى.

كم كان للفن حضور بصفة كبيرة في هذا العهد،وقد تأثرت بالفن الأندلسي وذلك التأثر بسبب الهجرة الأندلسية خاصة.

المحاضرة

الملحق رقم : (01)

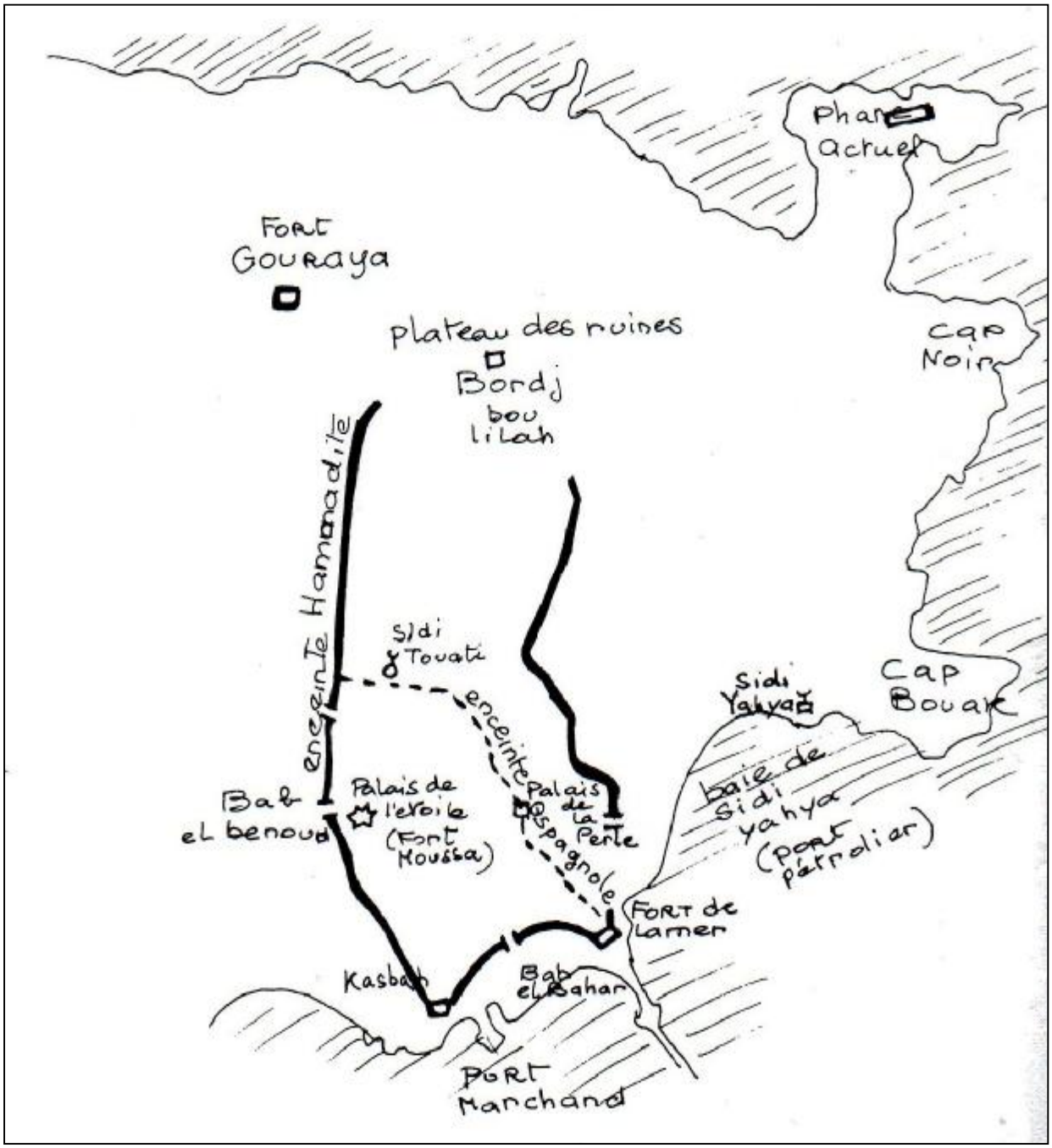

مخطط مدينة بجاية الناصرية

وزارة الأخبار: المرجع السابق، ص19.

الملحق رقم : (02)

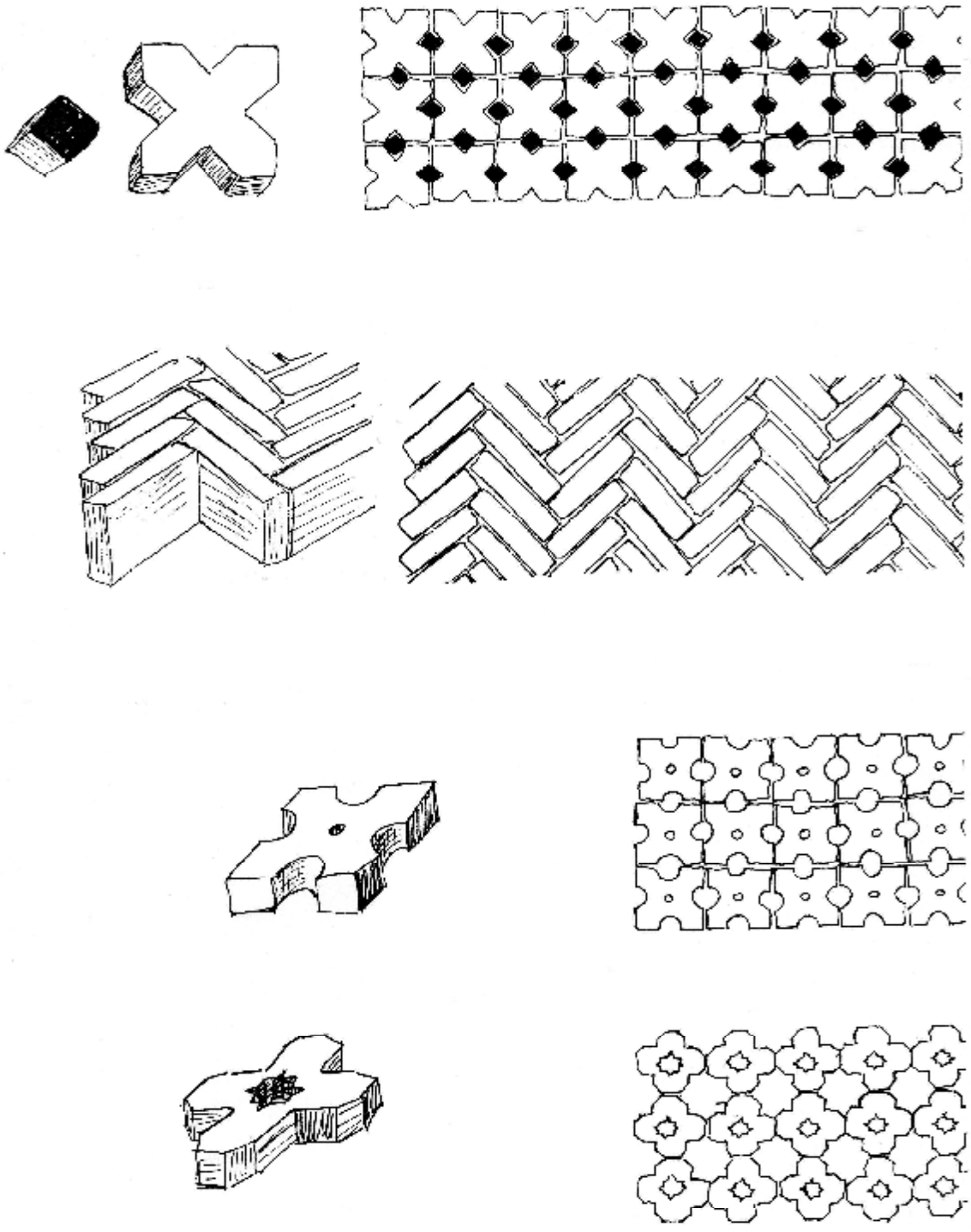

عناصر لتبليط الأرض

وزارة الأخبار : المرجع السابق، ص47.

الملحق رقم : (03)

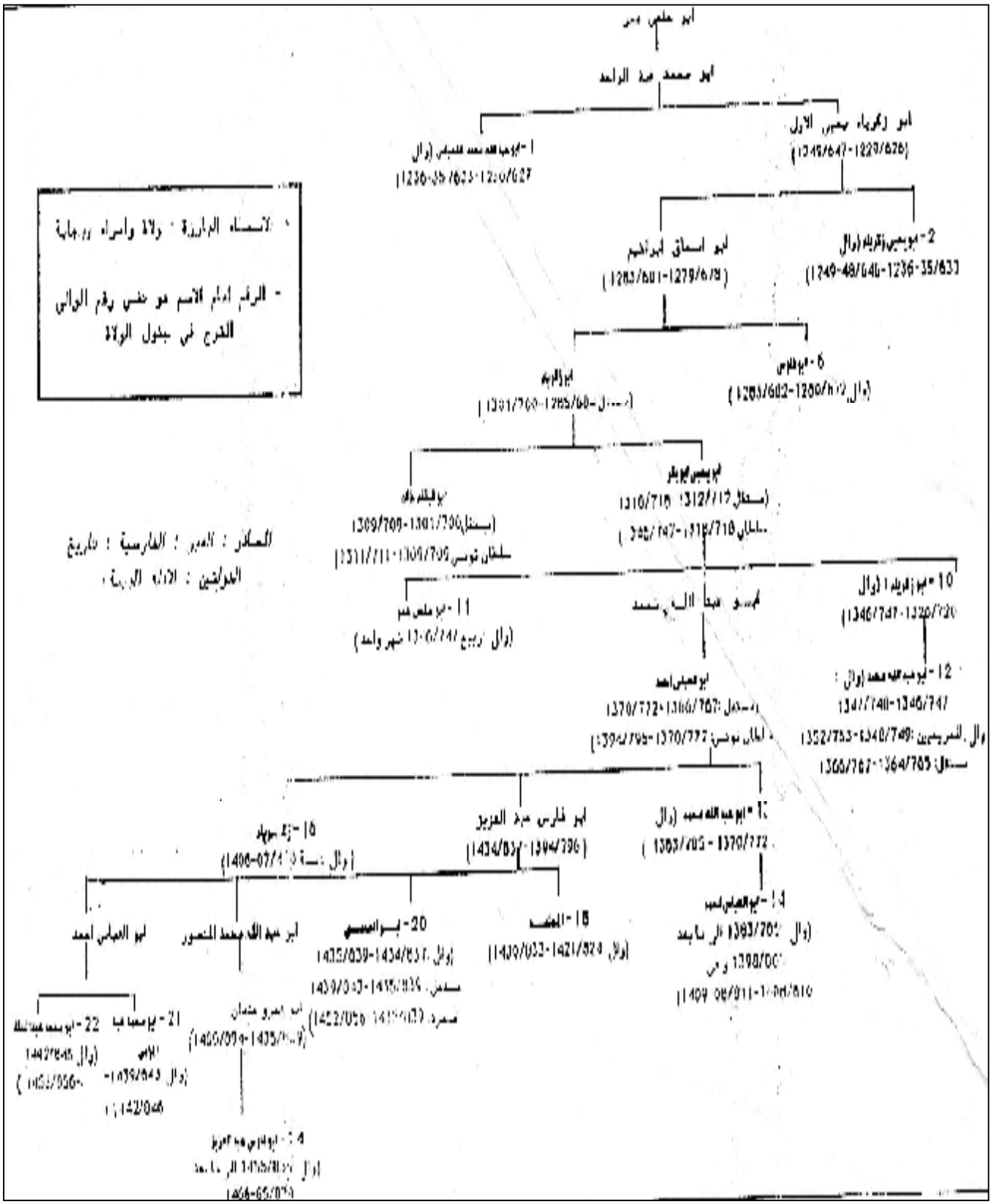

نسب ولاة بجاية و أمرائها من العائلة الحفصية

صالح بعزيق: المرجع السابق،ص95.

الملحق رقم : (04)

	إسم الوالي	صلته بالسلطان	الفترة التي قضاها	المدة التقريبية	راجع البحث ص
10	ابو زكرياء ابن السلطان أبي يحيى أبي بكر	ابن	720 / 1320-747/1346	27 سنة	72-73
11	أبو حفص عمر بن السلطان أبي بكر	ابن	ربيع 747 / 1346	شهر واحد	76
12	أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء بن أبي بكر	حفيد	ربيع 747 / 1346 بداية 748/1347	1 سنة	76
13	أبو عبد الله محمد ابن السلطان أبي العباس	ابن	772 / 1370 - 785 / 1383	13 سنة	81
14	أبو العباس أحمد بن أبي عبد الاه محمد ابن أبي العباس	حفيد	785 / 1383 - ما بعد 800/1398 810/1408-07 - 811/08-1409	16 سنة على الأقل	81
15	أبو النصر ظافر	قائد عسكري	بعد 805 - 810/07-1408	5 سنوات	81
16	زكرياء بن أبي العباس أخو السلطان أبي فارس	أخ	سنة 810 / 07-1408	1 سنة	81
17	أبو البقاء خالد	لا نعرف غير أنه من العائلة الحفصية	قبل 824 / 1421	أكثر من سنة	81
18	المعتمد ابن السلطان أبي فارس	ابن	824 / 1421 - 833 / 1430	9 سنوات	82
19	أبو النعيم رضوان	قائد عسكري	833 / 1430 - 837/33-1434	4 سنوات	82
20	أبو الحسن ابن السلطان أبي فارس وعم السلطان المنتصر	عم السلطان	837/1434 - 839/1435	2 سنتان	82
21	أبو محمد عبد المؤمن ابن أبي العباس أحمد	ابن عم	843 / 1439 - 846/1442	3 سنوات	83
22	أبو محمد عبد المنك ابن أبي العباس أحمد	ابن عم	848 / 1442 - 856 / 1452	10 سنوات	83
23	أبو علي منصور المزوار	قائد	856 / 1452 - 859/1455	3 سنوات	84
24	أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي عمرو عثمان	ابن	859/1455 ما بعد 870/1466-65	على الأقل 11 سنة	84

تلخيص لجدول الولاة

انتماء الولاة		العدد		المجموع التقريبي للسنوات ("165)	
ولاة من العائلة الحفصية	أبناء للسلطان الحاكم	7	المجموع 15	76	المجموع 116
	أقارب للسلطان الحاكم	8		40	
ولاة من غير العائلة الحفصية		9		35	
المجمـــوع		24		151	

جدول إحصائي يوضح نسب ولاة بجاية و أمرائها من العائلة الحفصية

صالح بعزيق: المرجع السابق، ص94.

الملحق رقم : (05)

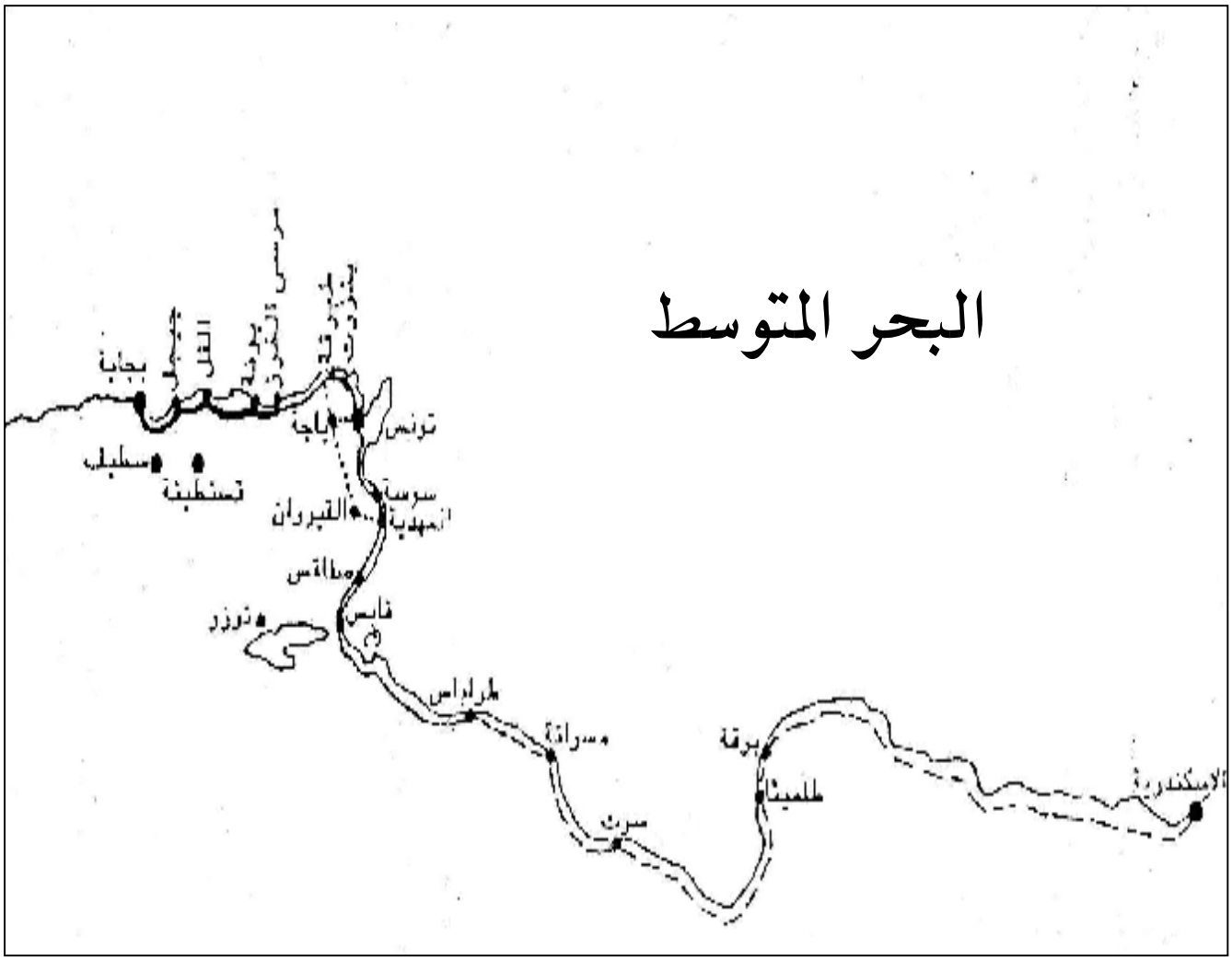

الطريق الشرقية الساحلية

مفتاح خلفات: المرجع السابق،ص154.

الملحق رقم : (06)

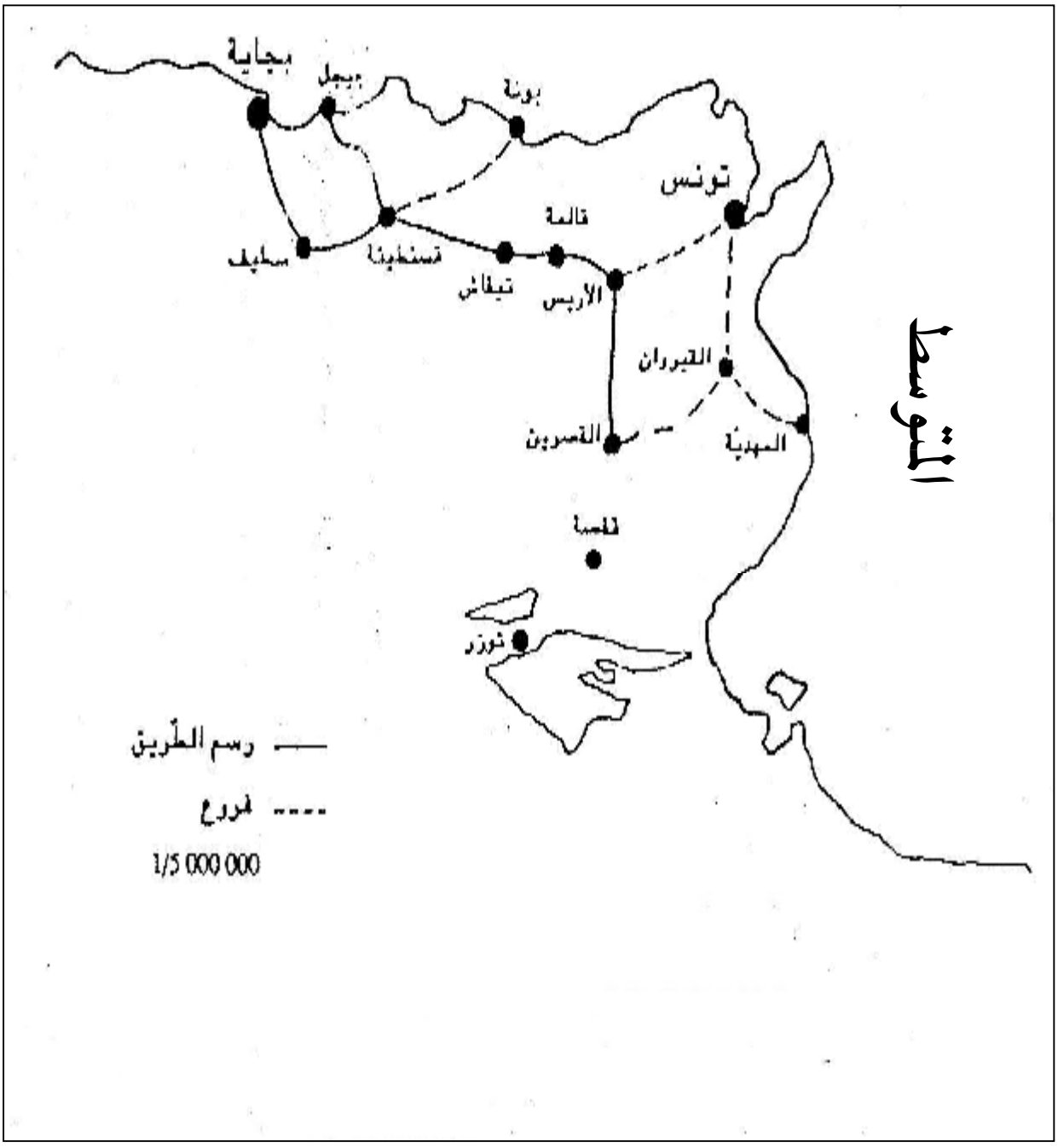

الطريق الشرقية الداخلية

مفتاح خلفات: المرجع السابق.

الملحق رقم : (07)

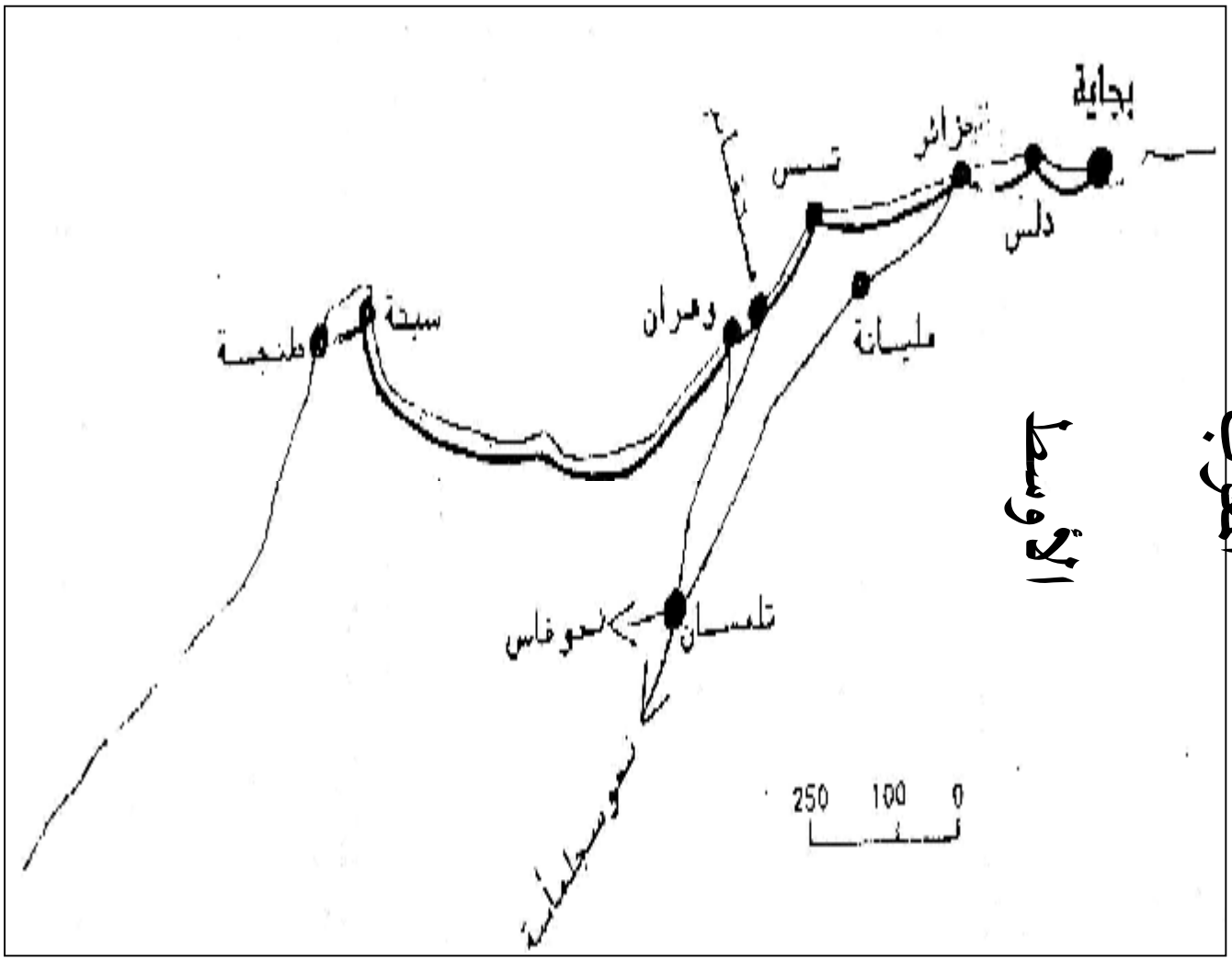

الطريق الغربية الساحلية

مفتاح خلفات: المرجع السابق،ص157.

الملحق رقم : (08)

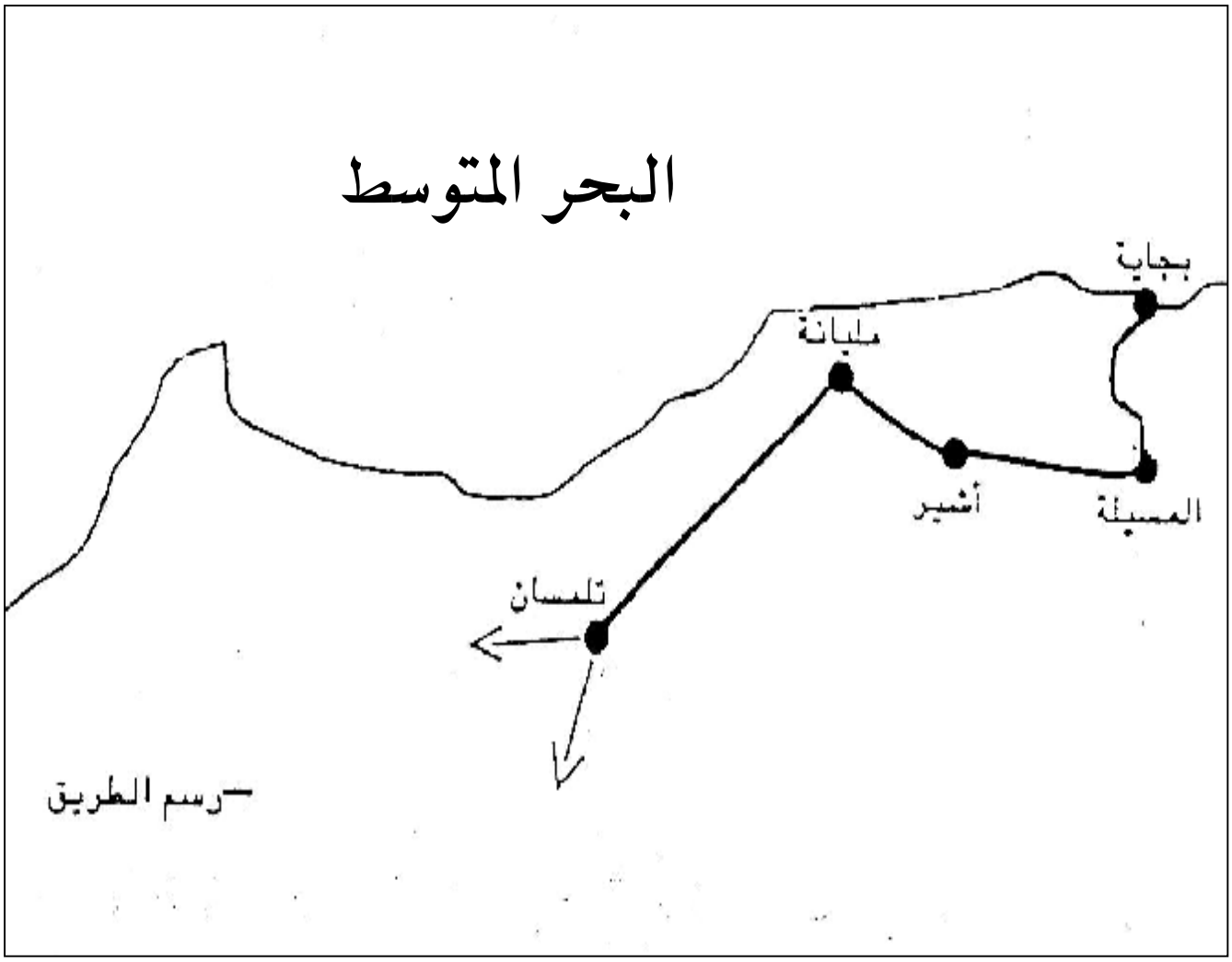

الطريق الداخلية الغربية

مفتاح خلفات: المرجع السابق،ص190.

الملحق رقم : (09)

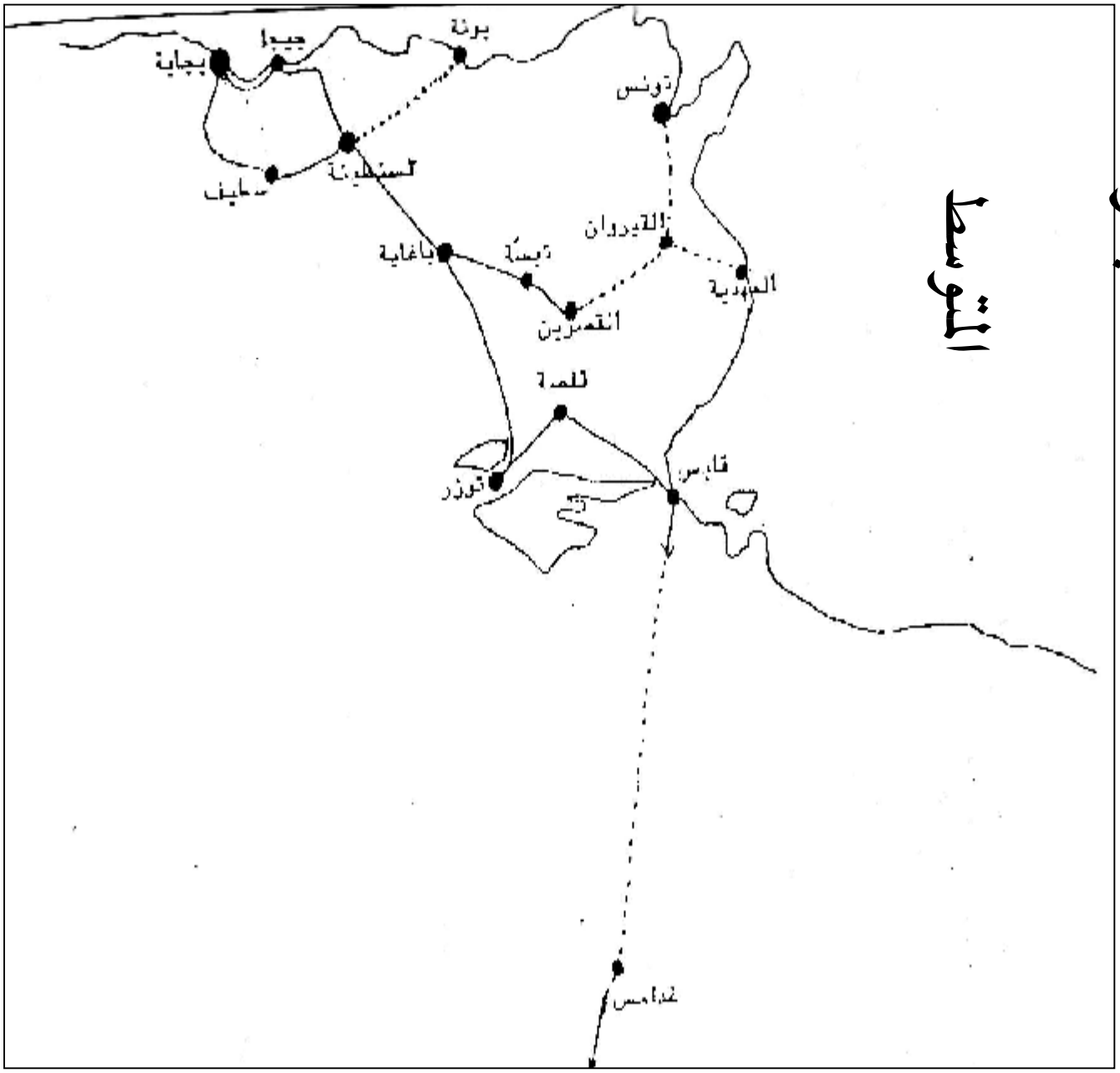

الطريق الجنوبية الشرقية

مفتاح خلفات: المرجع السابق،ص190.

الملحق رقم : (10)

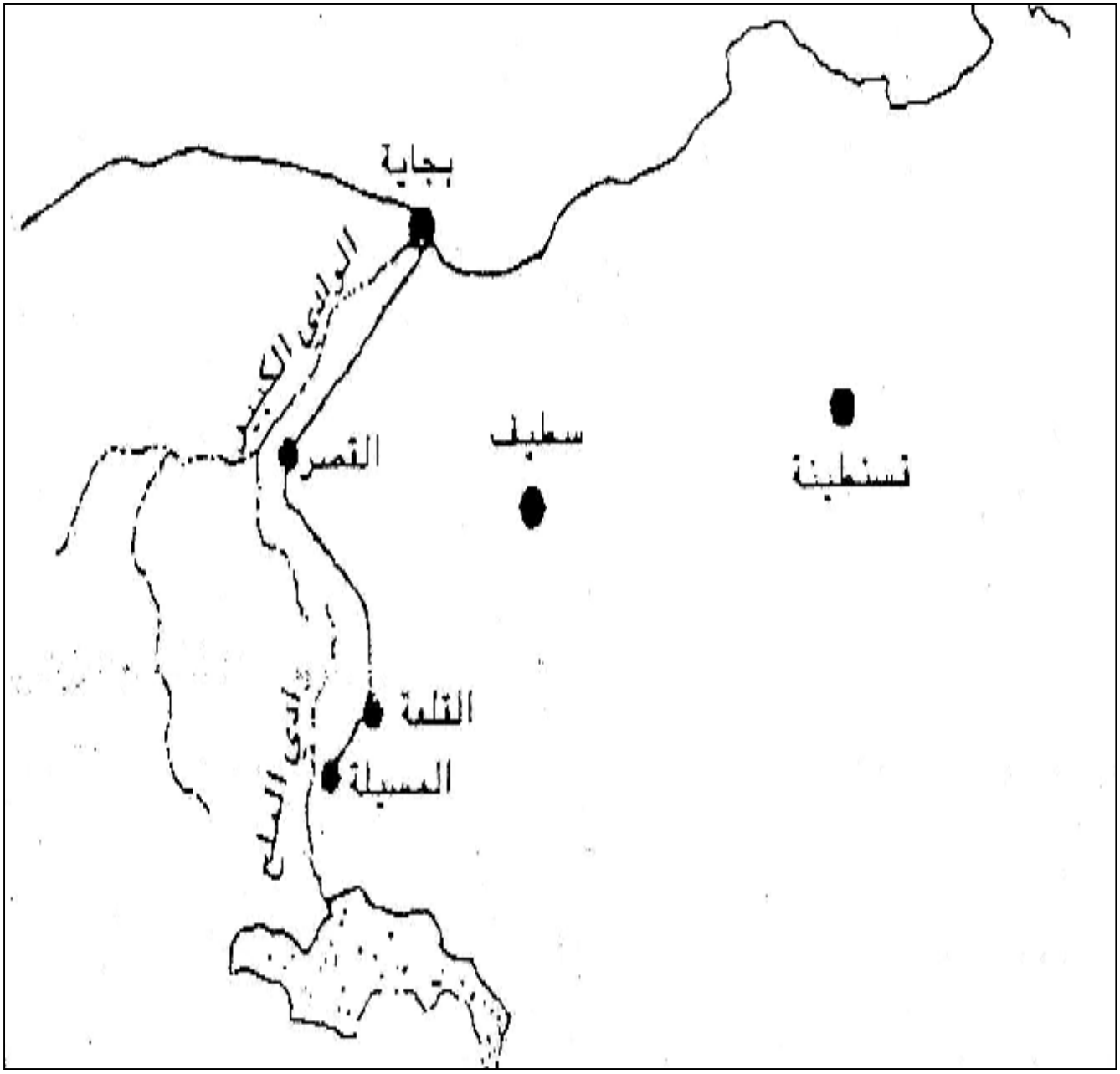

طريق بجاية – القلعة – المسيلة
من العهد الحمادي إلى بداية القرن (7هـ / 13م)

صالح بعزيق: المرجع السابق،ص162.

الملحق رقم : (11)

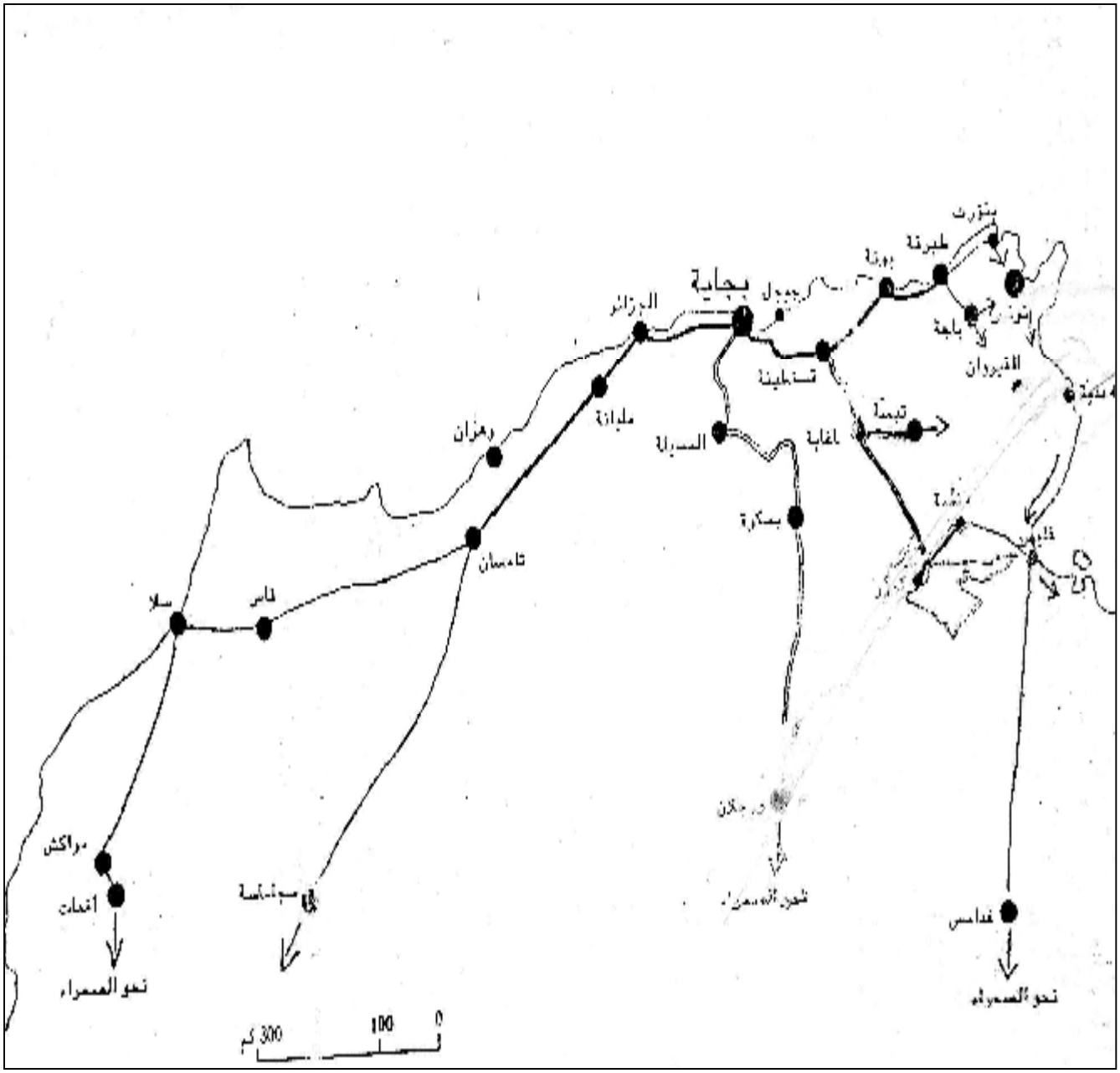

المحاور الرئيسية لشبكة الطرقات
المرتبطة ببجاية

صالح بعزيق: المرجع السابق،ص168.

الملحق رقم : (12)

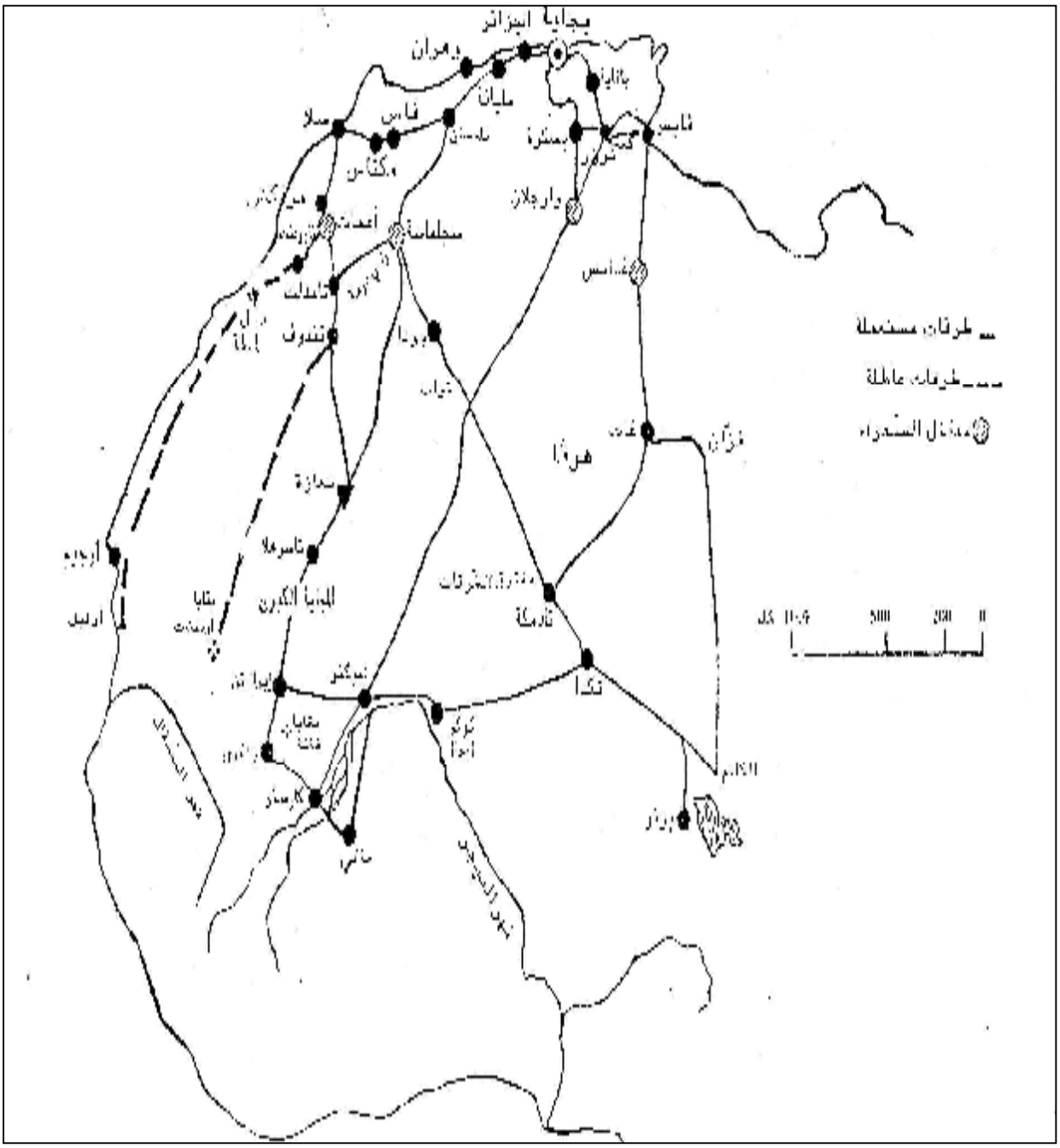

صالح بعزيق: المرجع السابق،ص168.

موقع بجاية من الطرقات العابرة إلى الصحراء في العهد الحفصي

الملحق رقم : (13)

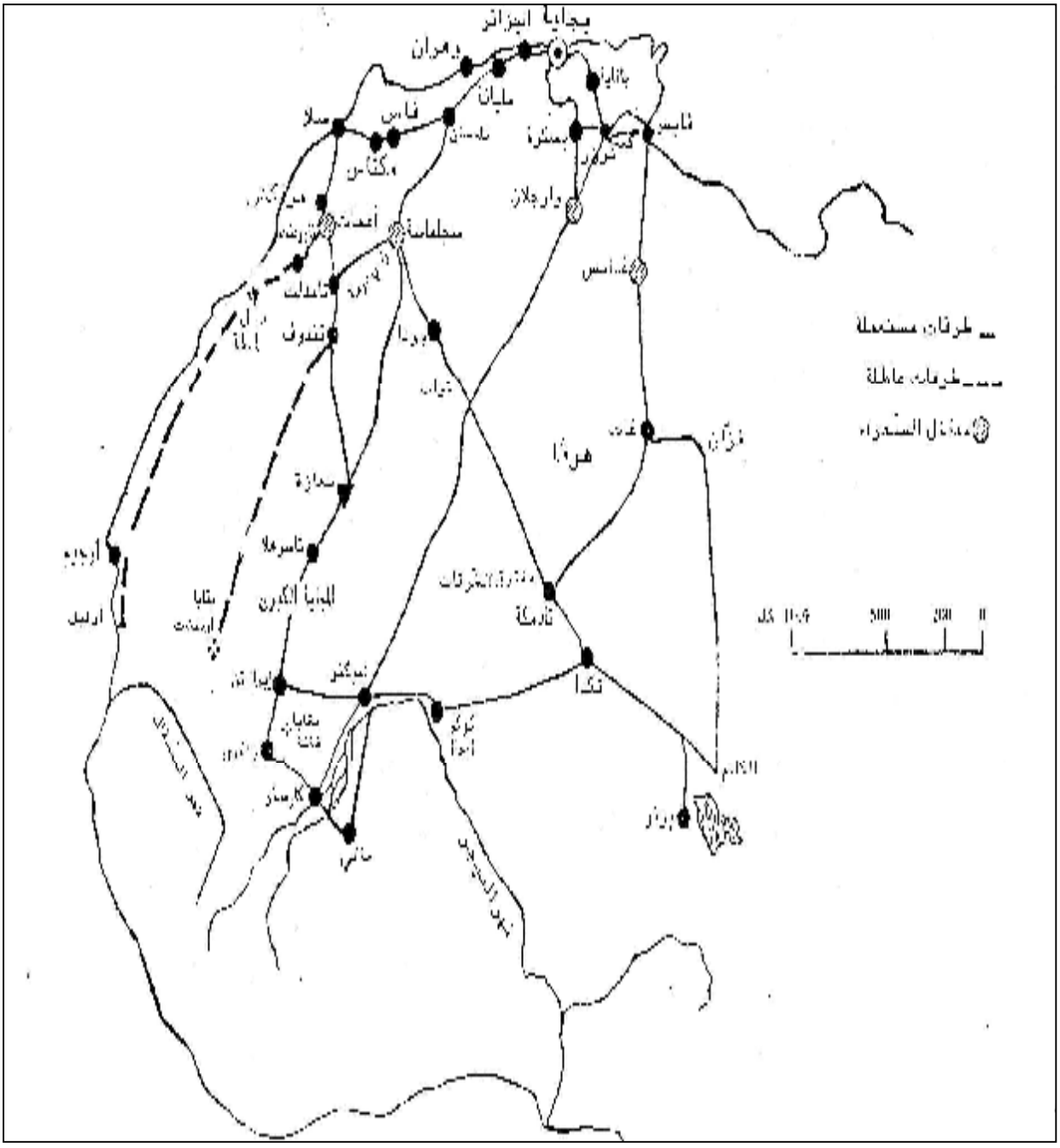

صالح بعزيق: المرجع السابق،ص177.

موقع بجاية من الطرقات العابرة إلى الصحراء في العهد الحفصي

الملحق رقم : (14)

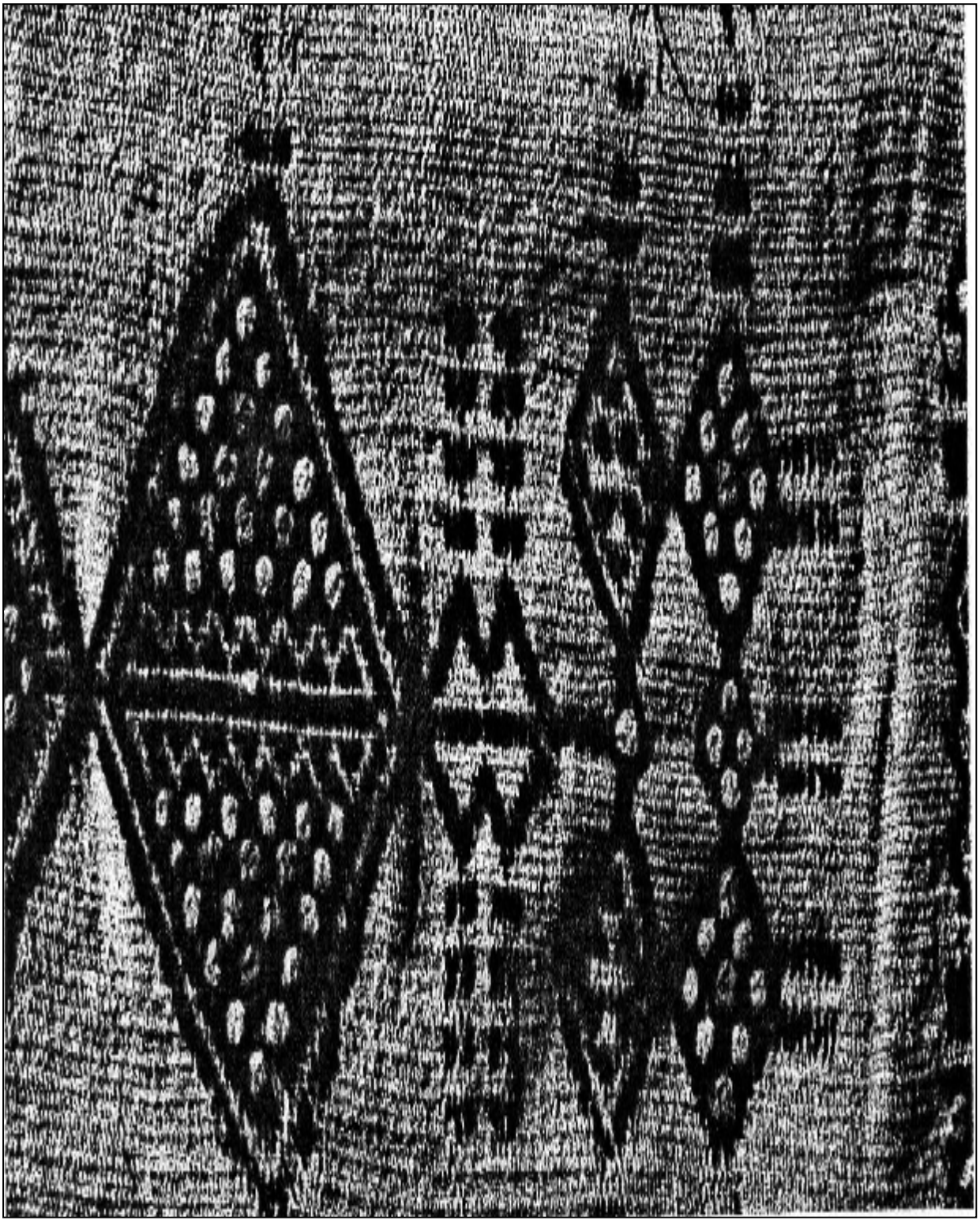

صورة للنسيج في بجاية
الملحق رقم : (15)

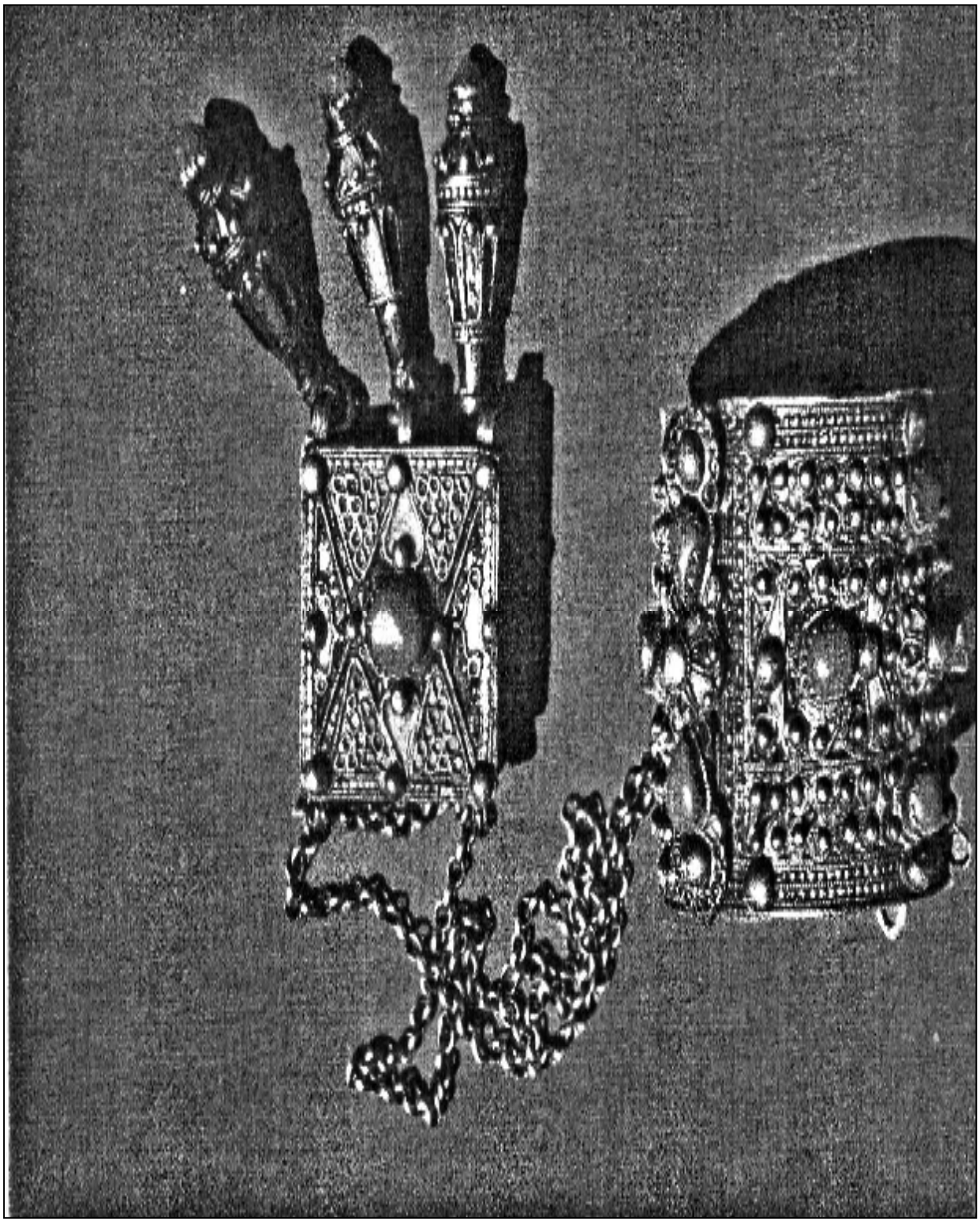

مجوهرات قديمة من الفن البجائي

وزارة الثقافة : المرجع السابق،ص34.

الملحق رقم : (16)

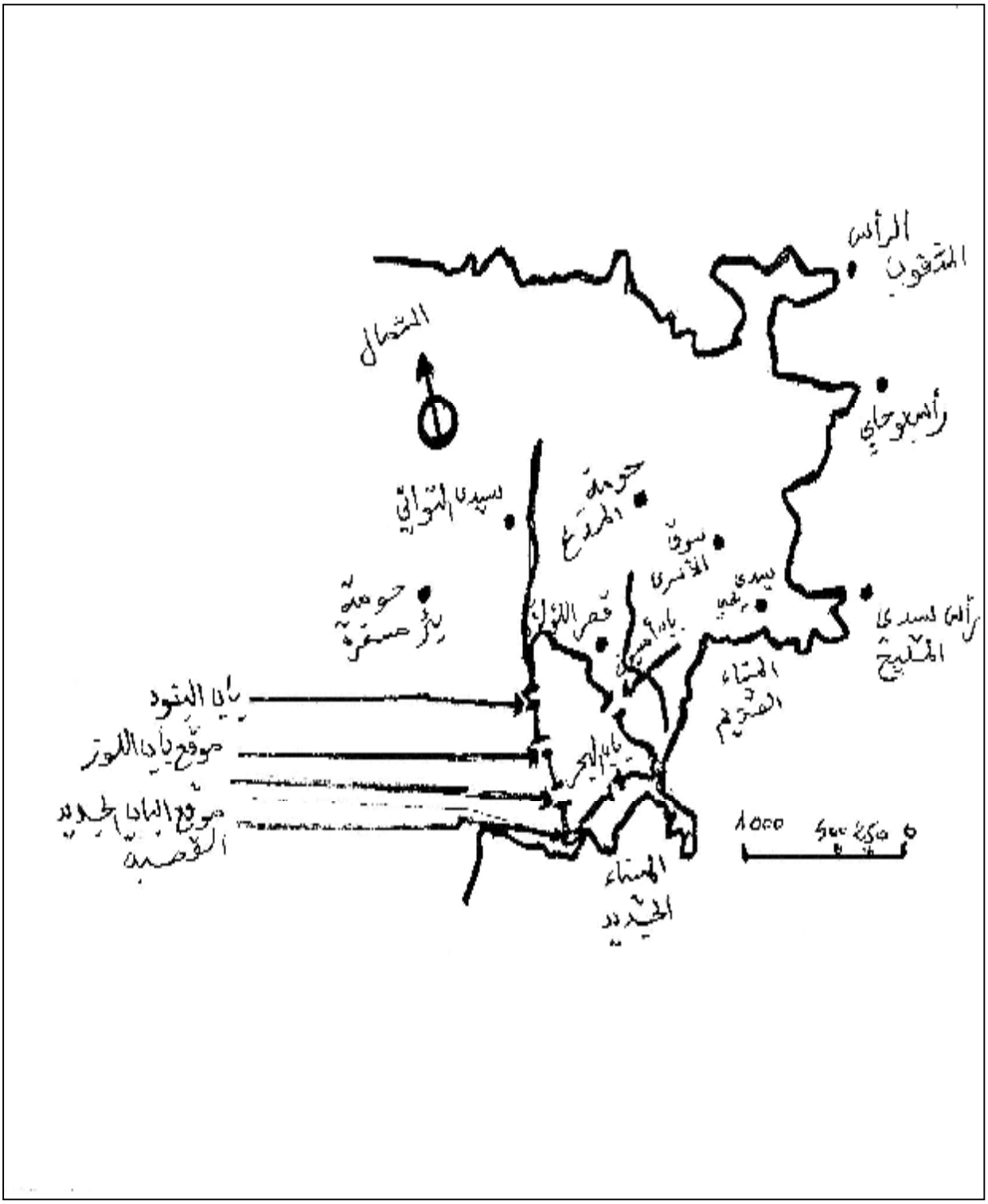

مدينة بجاية خلال القرن (7هـ / 13م)

صالح بعزيق: المرجع السابق، ص114.

الملحق رقم : (17)

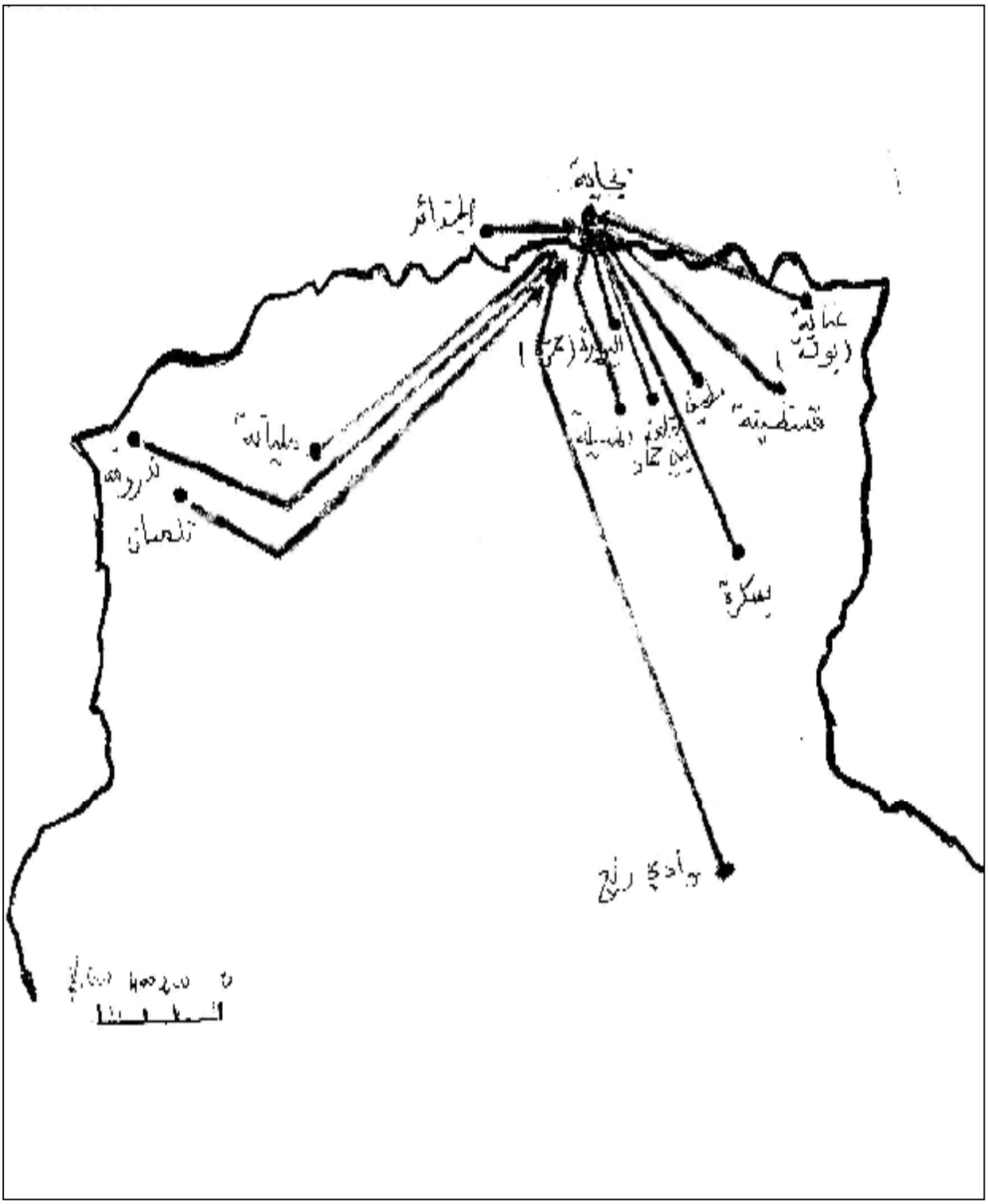

مواطن انتقال صوفية المغرب الأوسط إلى بجاية

- الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7 الهجريين و 12-13 الميلاديين، دار الهدى عين مليلة،2004، ص302.

الملحق رقم : (18)

مواطن هجرة صوفية الأندلس إلى بجاية في القرن (7هـ / 13م)

- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص304.

الملحق رقم : (19)

وزارة الأخبار : المرجع السابق،ص30.

باب البنود

الملحق رقم : (20)

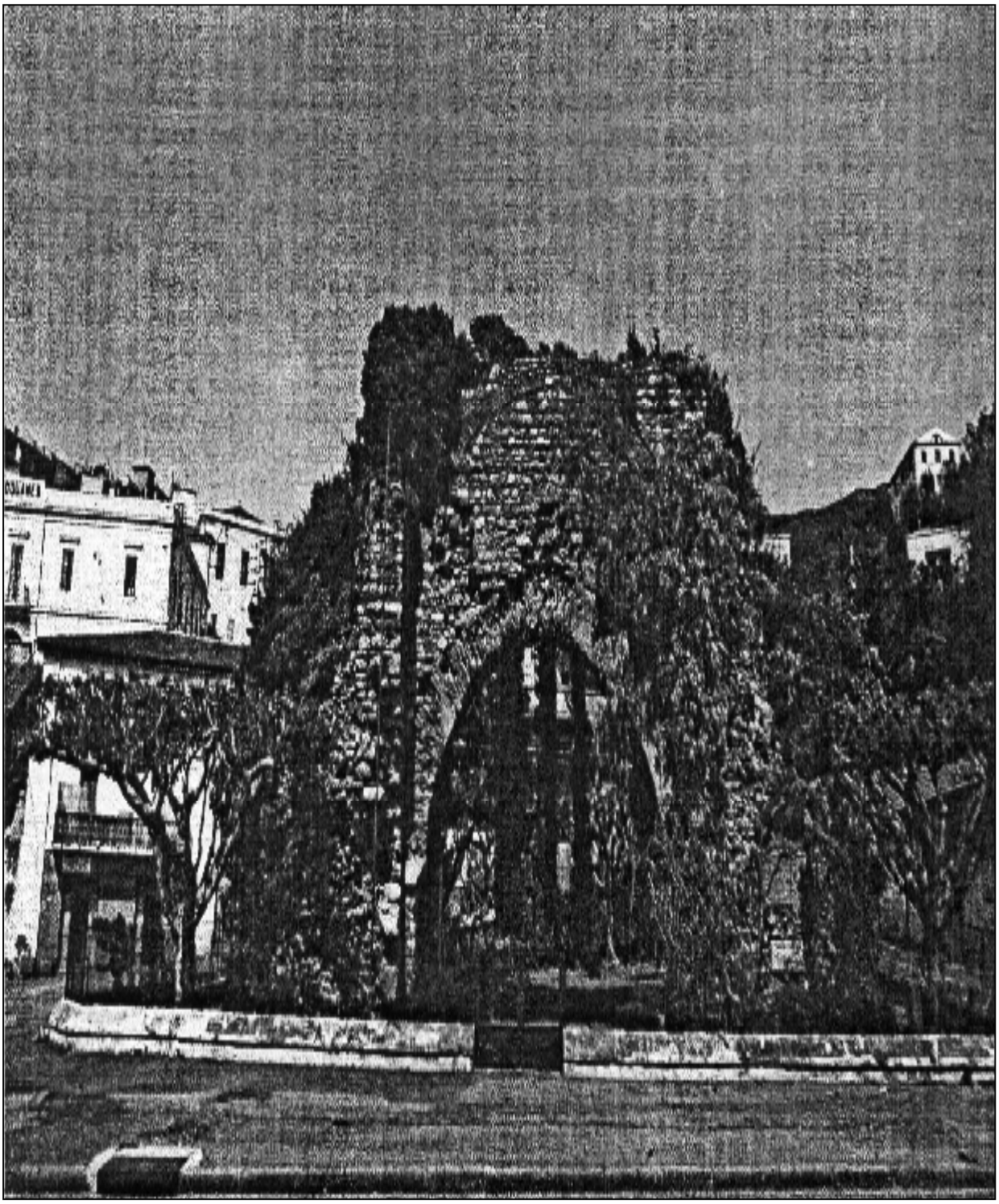

باب البحر (باب السراجين)

وزارة الأخبار : المرجع السابق، ص23.

الملحق رقم : (21)

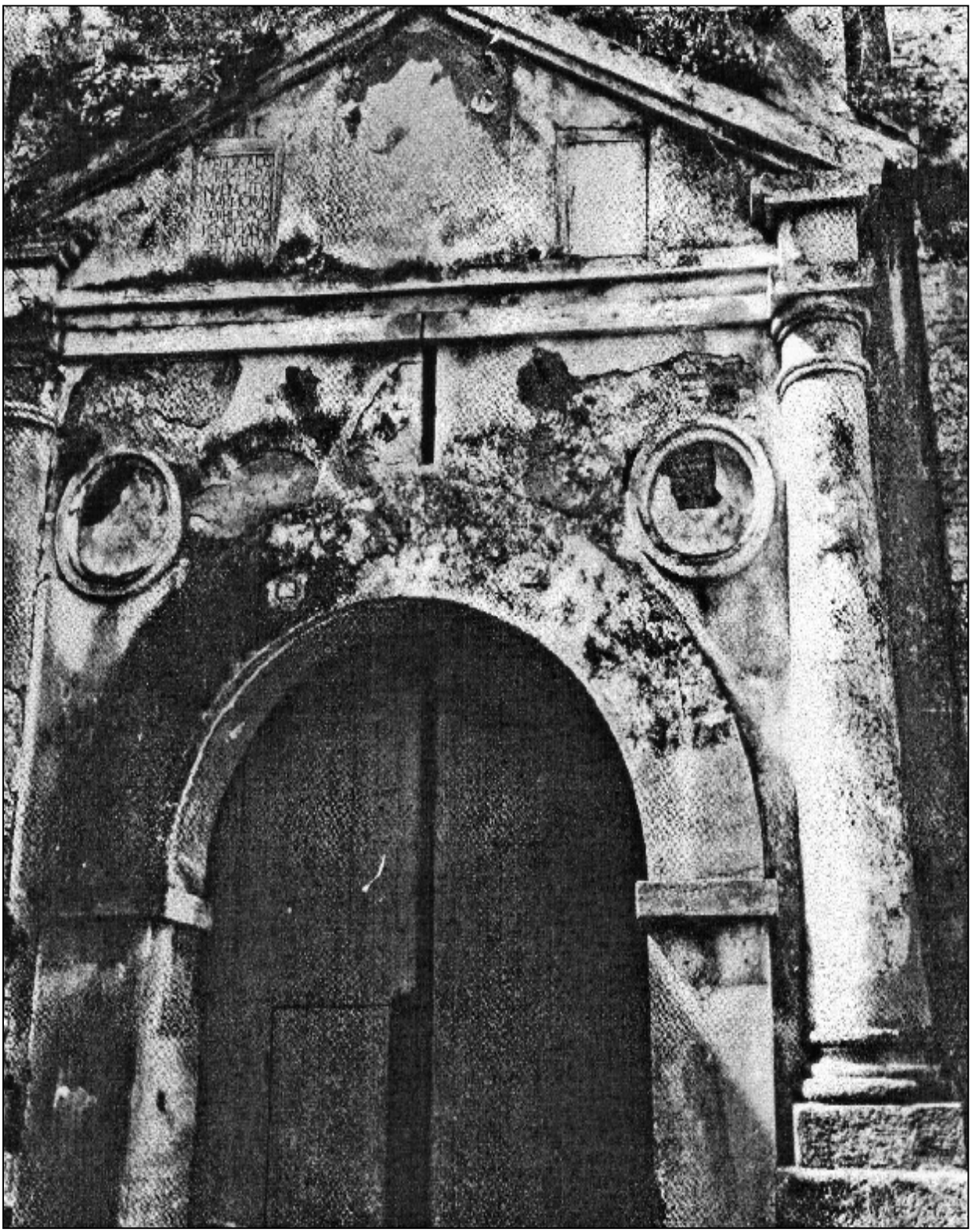

مدخل القصبة

وزارة الأخبار : المرجع السابق، ص71.

الملحق رقم : (22)

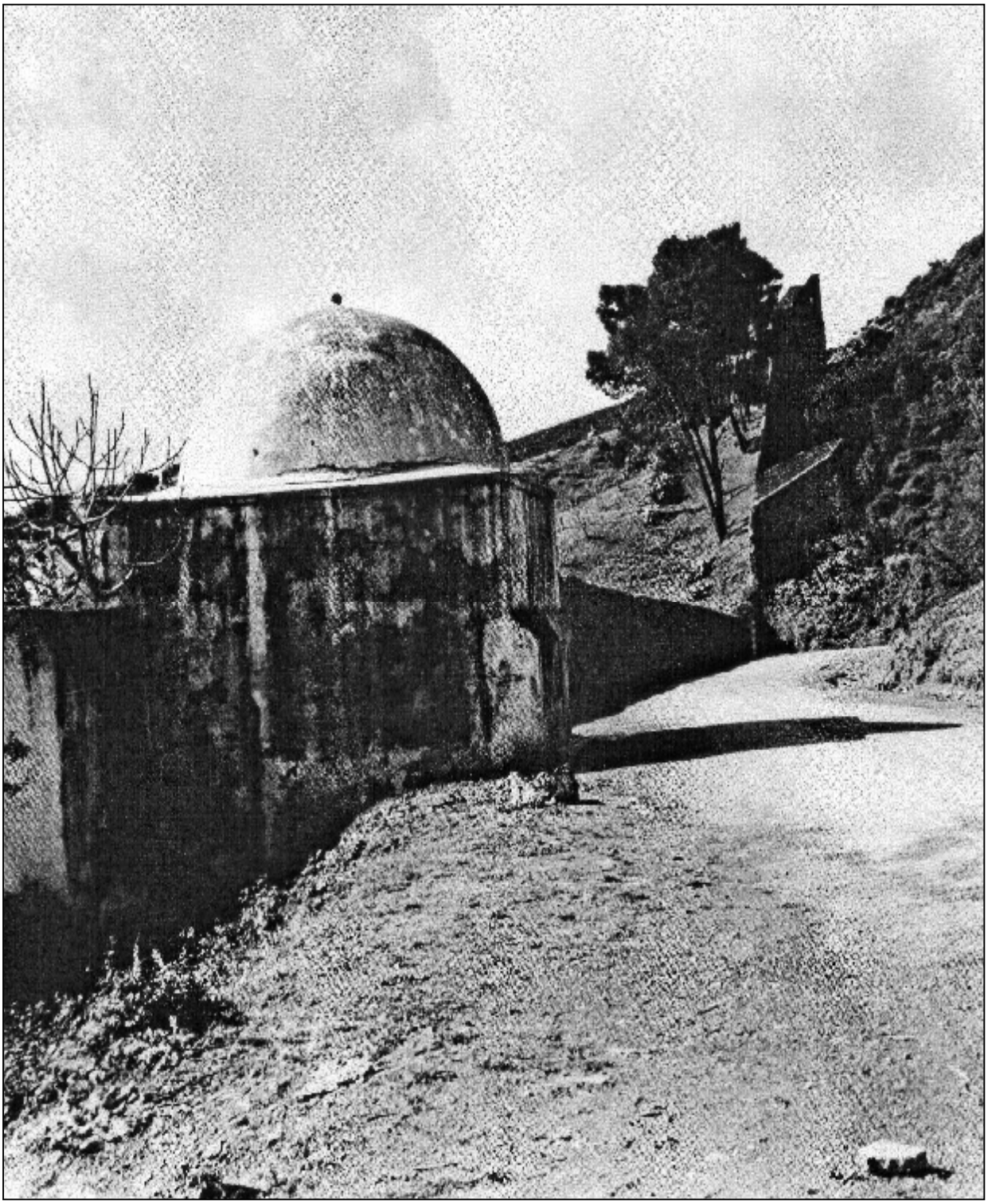

ضريح سيدي تواتي

وزارة الأخبار : المرجع السابق،ص31.

الملحق رقم : (23)

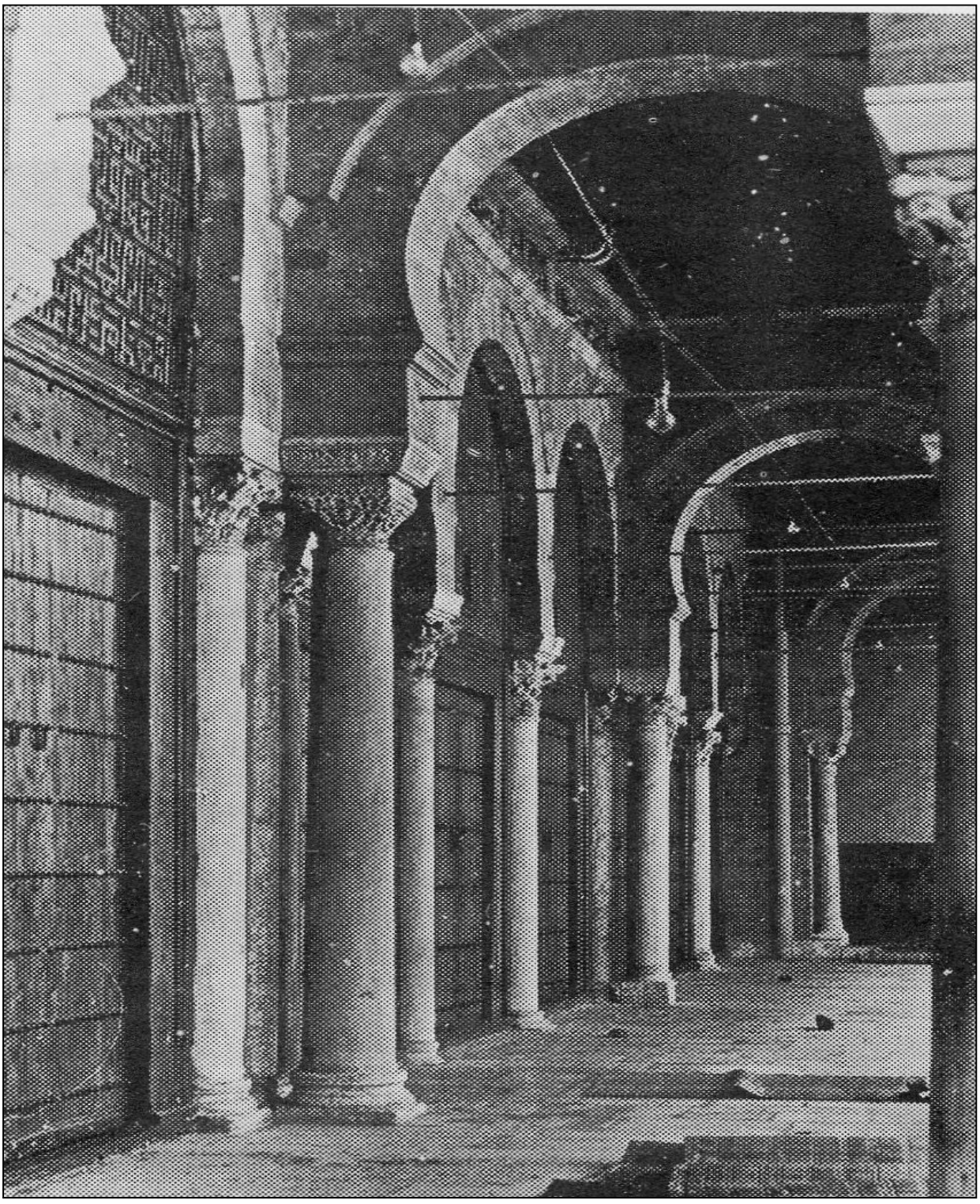

زخراف نجمية الشكل تزين الأبواب الخشبية

وزارة الأخبار : المرجع السابق،

قائمة المصادر والمراجع

- **المصادر:**

1- ابن الأبّار أبو عبد الله الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة القاهرة ط1، 1963م، ج1.

2- ابن أبي الدينار، المؤنس في أخيار إفريقية وتونس، المطبعة التونسية، ط1، 1686م.

3- ابن أبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس، وعهد الأمان ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية (د م ن)، 2001، ط1.

4- ابن بطوطة، رحلة إن بطوطة، المطبعة الخيرية، (د م ن)، ط، 1911م ،ج2.

5- ابن خلدون عبد الرحمن المقدمة، تح: أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، الدار الذهبية القاهرة، 2002م.

6- ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبريد زمن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت،2000م،ج6.

7- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح: لإحسان عباس ،دار الثقافة، بيروت،ج5.

8- ابن الزيات أبو يعقوب، التشوق إلى رجال التصوف، تح: أحمد توفيق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط2، 1997م.

9- ابن قنفد: شرف الطالب في أسنى المطالب، تح: عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد الرياض، ط1، 2003م.

10- ابن منظور، لسان العرب، الدار المصرية، (ب م ن)، (ب ط)، (ب ت ن)،ج5.

11- الإدريسي أبو عبد الله، نزهنه المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، (ب ت ن)، (ب م ن)، ج1.

12- أرسلان شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، تح: مجمد بن أبي شنب دار البصائر ،الجزائر،ط1 ، 2007.

13- البكري أبي عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقيـــة والمغـــرب، دار الكتـــاب الإسلامي القاهرة، (ب ت ن).

14- التمبكتي أحمد بابا، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ط1، (ب ت ن)ج1.

15- الحموي ياقوت، معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت، (ب ط)، (ب ت ن)ج1.

16- الحميري عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحـــسان عبـــاس، مكتبة لبنان ط2.

17- الحنبلي عبد الحي بن عماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ج3.

18- الذهبي شمس الدين، دول الإسلام، تح: حسن إسماعيل مروة، دار صـــادر،ط2، بيروت،1999، ج2.

19- الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تح: محمد ماضـــور، المكتبـــة العتيقة تونس، ط2، (ب ت ط).

20- العبدري محمد، الرحلة المغربية، تح: احمد بن جدو، مطبعة البحث، قـــسنطينة، (ب ط)

a. (ب ت ن).

21- العمري أبي فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: محمـــد عبـــد القادر خريسات، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة،ج4.

22- الغيريني ابو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف من المائة السابعة ببجاية، تـــح: محمد بن أبي شسنب، دار اليصائر، الجزائر، ط1 ،2007م.

23- القرافي بدر الدين، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تح: أحمد الشتوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ج6.

24- القروييني زكرياء بن محمد، آثار البلاد وأخيار العباد، دار صادر، بيروت،(ب ت ن).

25- القلصادي أبو الحسن علي، رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان ،الشركة التونسية تونس، 1985م، ط2.

26- القلقشندي أبو العباس، الصبح الأعشى، دار الكتب الخلدون، القاهرة، (ب ط) 1915،ج7.

27- كريخال مرمول، إفريقيا، تر: محمد حجي، مكتبة المعارف، (ب م ن)،1984م.

28- الماوردي أبو الحسن، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي دار ابن قتيبة، الكويت، ط1، 1989م.

29- مجهول، الإستبصار في عجائب الأمطار، دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد (ب ط) (ب ت ن).

30- مجهول، مفاخر البربر، تح، عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، ط1، الرباط،2005.

31- مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي بيروت، ط1، (ب ت ن).

32- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مطبعة بريل، (ب م ن) 1881م.

33- المطوي محمد العروسي، السلطنة الحفصية " تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي" دار الغر ب الإسلامي، بيروت، (ب ط)، 1986م.

34- المقرّي التمساني أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس دار صادر، بيروت،1988م،ج7.

35- المقريزي، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تح:عبد الحميد عابدين علم الكتب، القاهرة، ط1، 1961م.

36- الناصري أبو العباس، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتب، الدار البيضاء، (ب ط)،1954م،ج2.

37- النميري ابن الحاج، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م.

38- النويري شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد الحميد ترجيني دار الكتب العلمية، بيروت، (ب ت ن)، ج2.

39- الوازن حسن بن محمد، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد لخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2 ،1883م، ج2.

40- الونشريسي أبو العباس، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981م، ج6.

- قائمة المراجع:

أ – المراجع العربية:

1- ابن عامر أحمد :الدولة الحفصية، دار الكتب الشرفية ،تونس ،(ب ط)،(ب ت ن)

2- برنشفيك روبار: تاريخ دول المغرب العربي ،مؤسسة الشباب الجامعة ،الإسكندرية 3- (ب ط)،2000.

4- بعزيق صالح :بجاية في العهد الحفصي دراسة إقتصادية وإجتماعية ،كملمة العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، تونس ،2006 .

5- بهلول إبراهيم :الآلات الموسيقية التقليدية ،الديوان الوطني لثقافة والإعلام ، الجزائر ،2004.

6- بوعياد محمود جوانب من الحياة في المغرب الأوسط والشركة الوطنية لنشر ،الجزائر .1982.

7- بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7 هجريين و 12-13 الميلاديين، دار الهدى، عين مليلة،2004.

8- الجيلاني عبد الرحمان : تاريخ الجزائر العام ،دار الأمة ، الجزائر ،2009،ج2.

9- العريري محمد عيسى: تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني، دار القلم، الكويت ،ط2، 1987 .

10- حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس ،مكتبة الخنازجي ومصر ،ط1، 1980.

11- الخوند مسعود الموسوعة التاريخية الجغرافية والشركة العالمية للموسوعات، بيروت 2002،ج1.

12- الدولاتي عبد العزيز، مدينة تونس في العهد الحفصي، دار سراس لنشر، ط1، تونس،1981م.

13- زيدان جورجي، تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، (ب ت ن)، ج1.

14- سامعي إسماعيل ومعالم الحضارة العربية الإسلامية ،ديوان المطبوعات الجامعة الجزائر،2007م.

15- السيد محمود، تاريخ دول المغرب العربي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (ب ط)،2000م.

16- شريط عبد الله والميلي مبارك مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (ب ط)،1985م.

17- الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، دار سراس لنشر، تونس، ط3، 1993م.

18- الصيد سليمان، تاريخ الجزائر القديم، مطبعة البحث، قسنطينة، ط2، 1966م.

19- ضيف شوقي، عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، ط1، (ب ت ن).

20- طمار محمد، الروابط الثقافة بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،2007م.

21- عبد الوهاب حسن حسني ،ورقات عن الحضارة العربية التونسية ،مكتبة المنار ،تونس 1964.

22- العربي إسماعيل: دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع الجزائر، 1980م.

23- ـــــــــ،ـــــــــ- مدن مغربية والمؤسسة الوطنية لكتاب، الجزائر، 1984م.

24- عويس عبد الحليم، دولة بني حماد، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط2، 1991م.

25- غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 2005م، ج2.

26- الغنيمي عبد الفتاح مقلد، موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1 1994م، مج3، ج5.

27- مؤنس حسين، تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح الإسلامي إلى الغرو الفرنسي العصر الحديث، لبنان، ط1، 1982م ،ج2.

28- محفوظ محمد، تراجم المؤلفين التونسين،دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1، 1984م ج3.

29- الميلي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر (ب ط).2007م.ج3.

30- النجار عبد الحميد، المهدي بن تومرت، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1983،1م.

31- النجار فخري خليل، الحضارة العربية الإسلامية، دار الصفاء، عمان، ط2001،1م.

32- وزارة الأخبار، بجاية سلسلة الفن والثقافة، مطبعة ألتامترا، إسبابنا،1980م.

33- وزارة المجاهدين الحواضر والمراكز الثقافة في الجزائر والمركز الوطني لدراسات والجزائر،2007م.

ب – المراجع المعربة:

1- الفرد بل :الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي في اليوم ،تر: عبد الرحمان بدوي ،دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط2- 1981 .

2- جوليان شارل أندري :تاريخ إفريقيا الشمالية ، تر:محمد مزالي وبشير سلامة :الدار التونسية للنشر ،تونس .(ب ط) ،(ب ت ن).ج2.

3-كولان.ج.س، الأندلس، تر: إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1980م.

4-يولم دنيس، الحضارات الإفريقية، تر: علي شاهين، دار مكتبة الحياة، بيروت،1974م.

- **المراجع الأجنبية:**

1- Gaid Mouloud: Histoire de Begaia et de sa regiom de puis l'antquité jusqui 'a 1954,(S.N .E.D) Alger ,1976 .

- **الدوريات** :

1- مصطفاوي رشيد، بجاية في العهد الحمادي، الأصالة، العدد الأول،1971م.

2- مفتاح خلفات، بجاية أنموذجا للمدنية المتطورة، الصراط، العدد الثامن عشر،2009م

- **المذكرات**:

1- طريقة حميد، ابن لآبار القضاعي ومدائحه في البلاط الحفصي، رسالة ما جسيتر جامعة باتنة،2010م.

2- سماح ميدة، مباركة بورقعة، مذكرة الحياة الثقافية في بجاية الحمادية، المركز الجامعي بالوادي، 2010.

3- نويوة واعظ: أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية، رسالة ماجسيتر- الدراسية العليا بالجزائر، 2008م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنـــوان **الصفحة**

شكر و عرفان .....

مقدمة ..... أ – ج

مدخـــــــــل: لمحة جغرافية و تاريخية عن بجاية..... 1-4

الفصل الأول: الحياة السياسية لبجاية الحفصية.....

1 – أصل الحفصيين وأسباب قيام دولتهم..... 6

2 – النظم الإدارية..... 10

3 – المحاولات الانفصالية لبجاية عن السلطة الحفصية..... 17

4 – العلاقات الخارجية لبجاية الحفصية..... 20

الفصل الثاني: الحياة الاقتصادية لبجاية الحفصية.....

1 – الإنتاج الفلاحي..... 26

2 – الإنتاج الحرفي..... 28

3 – التجارة..... 31

الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية والثقافية.....

1 – الحياة الاجتماعية..... 44

2 – الحياة الثقافية والفنية..... 52

الخاتمة 68

الملاحق..... 71

قائمة المصادر والمراجع..... 94

فهرس الموضوعات..... 102